الواقعية الإسلامية في رواية (دفء الليالي الشاتية) لعبد الله العريني دراسة نقدية

د. علي بن محمد الحمود
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي
كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث :

يلمس الباحث في الرواية العربية بوضوح قلة الدراسات التي تناولت الواقعية الإسلامية في الرواية، على الرغم من كثرة الدراسات التي عنيت بدراسة الواقعية في الرواية العربية، وهذه الدراسة التطبيقية ما هي إلا محاولة لإعطاء الواقعية الإسلامية بعض ما تستحقه من عناية واهتمام، ومحاولة لإبراز الصلة الوثيقة بين الأدب والواقع . وبالإضافة إلى ذلك فإنها تهتم بالرواية الإسلامية التي عانت من تجاهل النقد الأدبي الحديث. وقد حرصت أثناء الدراسة على التركيز على الجوانب التي تبرز تميز الواقعية الإسلامية واختلافها عن الواقعيات الأخرى ، وقدّمت نماذج من تلك الواقعيات ؛ لإظهار اختلاف كثير من مبادئها وتصوراتها عن المبادئ الإسلامية . وجاءت رواية (دفء الليالي الشاتية) ، للدكتور (عبد الله العريني) امتداداً لتلك الأعمال ، ومحاولة لتأصيل مفهوم الواقعية الإسلامية في الأدب ؛ لذا اتخذتها مادة لهذه الدراسة ، ووجدت فيها أنموذجاً للواقعية الإسلامية ، إذ إنها عبرت بوضوح عن المضامين الإسلامية ، وأبرزت تميز الواقعية الإسلامية عن الواقعيات الأخرى .

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فقد أضحت القصة بعامة ، والرواية بخاصة ، من أكثر الفنون الأدبية شيوعاً وانتشاراً لدى القراء ، وأصبحت وسيلة لنشر الآراء والأفكار ، وطرح قضايا المجتمع .

والباحث في الرواية العربية يلمس بوضوح قلة الدراسات التي تناولت الواقعية الإسلامية في الرواية ، على الرغم من كثرة الدراسات التي عنيت بدراسة الواقعية في الرواية العربية [1] .

وهذه الدراسة التطبيقية ما هي إلا محاولة لإعطاء الواقعية الإسلامية بعض

---

(١) ومن هذه الدراسات :

- الواقعية في الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام (١٩٣٩ – ١٩٦٧ م) : د. إبراهيم حسن الفيومي ، دار الفكر – عمّان ، ١٩٨٣م .
- التطور الفني للاتجاه الواقعي في الرواية العربية السورية (دراسة نقدية) : د. سمر روحي الفيصل ، دار النفائس – لبنان ، ط ١ (١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م) .
- الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام : د . محمد مصايف ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، (١٩٨٣ م) .
- الأصول التاريخية للواقعية الاشتراكية في الأدب الروائي الجزائري : د . واسيني الأعرج ، مؤسسة دار الكتاب الحديث ، ط ١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م) .
- الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع (دراسة تحليلية فنية) : د . عبد الفتاح عثمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، (١٩٩٣ م) .
- الاتجاه الواقعي في الرواية العربية الحديثة في مصر ، د . حلمي بدير ، دار الوفاء – الإسكندرية ، ط ١ (٢٠٠٢م) .
- الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية : د . عمر الطالب ، بيروت ، (١٩٧١ م) .

ما تستحقه من عناية واهتمام ، ومحاولة لإبراز الصلة الوثيقة بين الأدب والواقع . وبالإضافة إلى ذلك فإنها تهتم بالرواية الإسلامية التي عانت من تجاهل النقد الأدبي الحديث.

وبعد ، فإني مدين في هذه الدراسة إلى الدراسات النقدية القليلة التي تحدثت عن الواقعية الإسلامية في الرواية بخاصة ، وفي الأدب بعامة ، ومنها : الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني (دراسة نقدية) [1] ، والواقعية الإسلامية في الأدب والنقد [2].

ومدين – أيضاً – إلى الروايات الإسلامية التي مثّلت الواقعية الإسلامية في جوانب كثيرة ، وهي روايات قليلة ، إذا ما قارناها بالنتاج الروائي العربي ، وفي هذا المجال لا يمكن أن نتجاوز كتابات الدكتور (نجيب الكيلاني) (ت ١٩٩٥م) الذي قدّم للمكتبة الأدبية الإسلامية نماذج روائية مثّلت الواقعية الإسلامية في كثير من جوانبها .

وجاءت رواية (دفء الليالي الشاتية) [3] ، للدكتور (عبد الله العريني) [4] امتداداً لتلك الأعمال ، ومحاولة لتأصيل مفهوم الواقعية الإسلامية في الأدب ؛ لذا اتخذتها مادة لهذه الدراسة ، ووجدت فيها أنموذجاً للواقعية الإسلامية ، إذ إنها عبرت بوضوح عن المضامين الإسلامية ، وأبرزت تميز الواقعية الإسلامية عن

---

(١) د . حلمي محمد القاعود ، دار البشير – الأردن ، ط ١ (١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م) .

(٢) د . أحمد بسام ساعي ، دار المنارة – جدة ، ط ١ (١٤٠٥ / ١٩٨٥ م) .

(٣) دفء الليالي الشاتية : د . عبد الله بن صالح العريني ، دار إشبيليا _ الرياض ، ط ١ (١٤٢٠هـ) .

(٤) عضو هيئة تدريس في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي في كلية اللغة العربية بالرياض التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

الواقعيات الأخرى .

وقد بنيت هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة ، تحدثت في التمهيد عن مفهوم الواقعية الإسلامية ، وكان لابد لي من الوقوف أولاً عند مفهوم الواقعية بصورة عامة من حيث نشأتها ومبادئها وأبرز اتجاهاتها ومخالفتها لكثير من التصورات الإسلامية . وتحدثت في المبحث الأول عن الموضوع الروائي في رواية دفء الليالي الشاتية ، وفي المبحث الثاني عن الشخصيات ، وفي المبحث الثالث عن البيئة الروائية ، وفي المبحث الرابع عن الحبكة الفنية ، وفي المبحث الخامس عن الأسلوب الروائي . وختمت الدراسة بخاتمة ذكرت فيها أبرز النتائج .

وحرصت أثناء الدراسة على التركيز على الجوانب التي تبرز تميز الواقعية الإسلامية واختلافها عن الواقعيات الأخرى ، وقدّمت نماذج من تلك الواقعيات ؛ لإظهار اختلاف كثير من مبادئها وتصوراتها عن المبادئ الإسلامية .

وآمل أن تحقق هذه الدراسة بعض ما أصبو إليه ، وأن تفتح الباب على مصراعيه لدراسات أخرى تسلط الضوء على الرواية الإسلامية ، وتعطيها بعض ما تستحقه من عناية واهتمام . وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

* * *

التمهيد : مفهوم الواقعية الإسلامية :

قبل الحديث عن مفهوم الواقعية الإسلامية لابد من الحديث عن المذهب الواقعي من حيث نشأته وأبرز اتجاهاته ومبادئه ، ومن ثم الحديث عن مخالفة كثير من تلك المبادئ للتصورات الإسلامية للإنسان والكون والحياة ، وعند ذلك تبرز بوضوح الدوافع التي أدت إلى قيام الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد .

تنشأ المذاهب الأدبية نتيجة لبواعث اجتماعية وأوضاع فكرية وفلسفية ، وتكون ردة فعل منطقية لمذاهب أدبية سابقة . والمذهب الأدبي نتاج للعصر الذي ظهر فيه ، وثمرة للبيئة التي نشأ فيها . وهو شيء لا يوجده النقد الأدبي ، كما أنه لا يستطيع فرضه على الإنتاج الأدبي ، وإنما هو شيء يوجد في الإنتاج الأدبي أولاً ، ثم يستطيع النقد بعد ذلك استخراجه ودراسته وبلورته في قواعد وأطر [1] .

والمذهب الواقعي ظهر في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي في أوروبا، وكان ردة فعل منطقية للمذهب الرومانسي الذي غالى أتباعه في الانغلاق على ذواتهم ، وابتعدوا عن واقع مجتمعهم ، وأسرفوا في الجنوح إلى الخيال ، فرأى طائفة من الأدباء ضرورة أن يقوم الأدب من غفوته ، وأن يتصل بالحياة ، وأن يهتم بالطبقات الدنيا من المجتمع ، وأن ينزل الأدباء من الأبراج العاجية ؛ وبذلك ظهرت نصوص أدبية عنيت بتصوير واقع الحياة ، وتسجيل مشكلات المجتمع ، ومن خلال تلك النصوص الأدبية ، اشتقت الواقعية أصولها الفنية ، ومبادئها الجمالية والفكرية ، وآثرت النثر صورة لأدبها [2].

---

(١) تذوق الأدب : طرقه ووسائله : د . محمود ذهني : ٢٨٩ ، مكتبة الأنجلو المصرية – مصر ، بدون تاريخ (بتصرف) .

(٢) انظر : الأدب ومذاهبه : د . محمد مندور : ٩٠ – ٩٣ ، دار نهضة مصر – القاهرة ، بدون تاريخ .

والواقعية " تسعى إلى تصوير الواقع ، وكشف أسراره ، وإظهار خفاياه وتفسيره ، ولكنها ترى أن الواقع العميق شر في جوهره ، وأن ما يبدو خيراً ليس في حقيقته إلا بريقاً كاذباً أو قشرة ظاهرية ، فالشجاعة والاستهانة بالموت لو نقبنا عن حقيقتهما لوجدناها يأساً من الحياة أو ضرورة لا مفر منها ... وهكذا الأمر في كافة القيم المثالية التي نسميها قيماً خيّرة ، فهي ليست واقع الحياة الحقيقية ، وإنما هذا الواقع هو الأثرة وما ينبعث عنها من شرور وقسوة ووحشية "[1] .

ولم تكن نظرة الأدباء والنقاد إلى الواقعية من زاوية واحدة ، ولم تنطلق من فلسفة واحدة ، إذ نظر كلٌّ منهم من زاوية مختلفة ، وفلسفة خاصة ؛ ولذا تعددت الواقعية إلى واقعيات مختلفة ، واحتاجت إلى استجلاب " صفة أخرى في كلمة أو كلمات ؛ لتقدم ما يسند دلالتها اللفظية "[2] .

والواقعية النقدية هي الصورة الأولى للواقعية ، وتستلهم موضوعاتها من سلبيات المجتمع ، وتركز على إبراز جوانب النقص في الطبيعة البشرية ، وإظهار تناقضات المجتمع وسلبياته ، وترى أن الواقع شرّ في جوهره ، وإن بدا جميلاً في مظهره . ويغلب عليها السلبية والتشاؤم[3] . ويضاف إلى ذلك أنها تتناول الواقع في ظواهره الخارجية ، وتبتعد عن تصوير العالم الداخلي للإنسان .

والواقعية الطبيعية تتفق مع الواقعية النقدية في كثير من مبادئها إلا أنها تلتصق

---

(١) الأدب ومذاهبه : ٩٣ .

(٢) موسوعة المصطلح النقدي : ترجمة د . عبد الواحد لؤلؤة : مج ٣ : ١٥ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ، ط ١ (١٩٨٣ م) .

(٣) انظر : مذاهب الأدب الغربي " رؤية إسلامية " : د . عبد الباسط بدر : ٥٤ – ٥٥ ، شركة الشعاع للنشر – الكويت ، (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م) .

التصاقاً واضحاً ومبالغاً فيه بالجوانب المادية الملموسة ، وتسعى " إلى تصوير واقع الحياة أو طبيعة الحياة وفهمها وتفسيرها . ولكنها تردّ هذه الطبيعة وهذا الواقع العميق إلى حقائق حياتنا العضوية وتأثير هذه الحقائق ، بل سيطرتها على كافة مشاعرنا وأفكارنا وأخلاقنا وسلوكنا في الحياة " [1] .

ولا تكتفي – أيضاً - " بالملاحظة ، بل تستعين بالتجارب والأبحاث العضوية والفسيولوجية لمعرفة حقائق الإنسان العميقة وحقائق الحياة " [2] . وبذلك فإن نظرتها إلى الإنسان قاصرة وغير متوازنة ؛ لأنها تهمل الجوانب الروحية من الإنسان ، وتعلي الجوانب المادية ، " فالإنسان في تصور هذه الواقعية حيوان تسيره غرائزه وحاجاته العضوية ؛ لذلك فإن سلوكه وفكره ومشاعره هي نتائج حتمية لبنيته العضوية ولما تقوله قوانين الوراثة . وأما حياته الشعورية والعقلية فظاهرة طفيلية تتسلق على حقيقته العضوية . وكلّ شيء في الإنسان يمكن تحليله ورده إلى حالته الجسمية وإفرازات غدده ، وبهذا التصور تفهم الواقعية الطبيعية الإنسان ، والحياة ، وتعرضهما على الأدب " [3] .

أما الواقعية الاشتراكية فتدعو إلى ضرورة ارتباط الكاتب بالطبقة العاملة ، وتستند " إلى النظرية الماركسية في تحليل المجتمع ، وتلتزم الموقف التقدمي المتعاطف مع الطبقة العمالية الصاعدة ... فالمضمون الطبقي هو الذي يرسم المذهب الأدبي ، ويحدد قيمة الأدب " [4] .

---

(١) الأدب ومذاهبه : ١٠٦ .

(٢) المرجع السابق : ١٠٦ .

(٣) مذاهب الأدب الغربي " رؤية إسلامية " : ٥٥ – ٥٦ .

(٤) المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين : د . شكري محمد عياد : ٢٤ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، عالم المعرفة (١٧٧) ، (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) .

والواقعية الاشتراكية تناقض التصورات الإسلامية في جوانب كثيرة ، منها : أنها تبني الأدب على العامل الاقتصادي دون العوامل الأخرى ، وأنها تهتم بالطبقة العاملة الكادحة ، وتتجاهل بقية فئات المجتمع ، وهذا قصور واضح في تصور الواقعية الاشتراكية ، وأنها تفسر الحياة وفق النظرية المادية الجدلية التي تهمل الجانب الروحي في الإنسان ، و أنها تجعل من الأدب وسيلة للدعوة إلى الشيوعية [1] .

وعلى الرغم ما بين هذه الواقعيات من اختلافات في الجزئيات إلا أنها " تتفق كلها في استمداد تصورها من النظرة المادية الحيوانية للإنسان ، القائمة بدورها على الداروينية القديمة " [2] . وبذلك فإن الواقعيات المختلفة تعمل على إعلاء الجوانب المادية في الإنسان ، وتهمل الجوانب الروحية ، وتتسم نظرتها بالسطحية ، وتكتفي بتصوير الجوانب المظلمة في الحياة . وتعمد - في كثير من نصوصها - إلى تقديم أدب مكشوف يدعو إلى الرذيلة ، ويحرك الغرائز ، ويثير الشهوات ، وينتهك الحرمات الدينية .

ونخلص من ذلك أن الواقعية عملت على تشويه صورة الإنسان بحجة أنها تصوره على حقيقته المتمثلة في الشر والضعف والسقوط والانحراف ، وعدّت الخير والفضيلة والقيم والمُثل والمبادئ الفاضلة خرافة لا أصل لها ، ودعت إلى القبول

---

(١) انظر : مذاهب الأدب الغربي " رؤية إسلامية " : ٦١- ٦٢ .

وانظر : نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد : د . عبد الرحمن رأفت الباشا : ٤٣ – ٥٠ ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض ، (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م) .

(٢) منهج الفن الإسلامي : محمد قطب : ٤٥ ، دار الشروق – بيروت – القاهرة ، ط ٦ (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م) . وانظر : مذاهب الأدب الغربي " رؤية إسلامية " : ٦٠ .

بالأمر الواقع بكل مافية من علات وانحرافات [1] .

وهذا التصور المنحرف والسلبي والقاصر وغير المتوازن للواقع يخالف التصور الإسلامي الذي لا يعدّ طغيان الشر وانتصاره في مرحلة ما وفي مجتمع ما حقيقة حتمية ، بل يعمل على تغييره ، فالأمر الواقع لا يفرض نفسه على الإسلام أبداً ؛ لأنه " قد يكون خطأ من أوله إلى آخره ، فلا يعطيه وقوعه (حجية) ولا أحقية في أن يوجد . ويظل مخطئاً ولو بقي ألف عام ! إن مجرد (الوجود) ليس مزية في ذاته بالنسبة للإنسان . وإلا فالذباب موجود والعناكب السامة موجودة ! وإنما المزية هي الوجود على صواب ، الوجود على مستوى (الإنسان) . وكل واقع ينحرف عن مستوى الإنسان فهو خاطئ ، ولا يمكن أن يكون صواباً لمجرد أنه هو الموجود ! " [2] .

فالواقعية الإسلامية لا تقبل بالواقع المعاش المفروض على الإنسان ، ولكنها تعمل على تغييره ، وتقدم الواقع كما يجب أن يكون في التصور الإسلامي ؛ لأن الأصل انتشار الخير والفضيلة ، أما انتشار الشر والرذيلة وانتصارهما – أحياناً – فأمر طارئ مآله إلى الزوال .

ويمكن أن تلتقي الواقعية الإسلامية مع غيرها من الواقعيات في بعض الجوانب الظاهرية ، ولكنها تختلف معها في الجذور [3] ، فهي تلتقي معها في الاهتمام بعرض واقع الإنسان واهتماماته اليومية ، وقضايا حياته ، ولكنها في أثناء تصوير ذلك الواقع تستمد تصوراتها للإنسان والكون والحياة من العقيدة الإسلامية ،

---

(١) انظر : منهج الفن الإسلامي : ٤٨ – ٥١ .

(٢) المرجع السابق : ٥١ .

(٣) انظر : الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد : ١٥ .

وتعمل على ترسيخها في النفوس . أما الواقعيات الأخرى فتنطلق من تصورات بشرية . والواقعية الإسلامية تعمل على ترسيخ الصلة بين الأرض والسماء ، بين الروح والجسد ، وذلك بهدف ربط الإنسان بخالقه تعالى . أما الواقعيات الأخرى فتهدم تلك الصلة . ومن " هنا كان الواقع في المفهوم الإسلامي يتجاوز الواقع العياني المنظور إلى ما هو أبعد من ذلك ، فالإنسان جسد وروح (ضرورات) ، عالم منظور وآخر لا يعلمه إلا الله ، وهذه الرؤية المكتملة الشاملة هي الخلفية التي يتحرك عليها الأدب الإسلامي ... "[1] .

والإنسان في التصور الإسلامي بشر يتكون من جسد وروح ، وليس معصوماً ؛ لذا لابد أن تتعامل الواقعية الإسلامية مع هذه الطبيعة ، وتعرض للإنسان في حالات رقيه وقوته ، وفي الوقت ذاته لا تغفل جوانب الضعف التي تعتريه ، ولكن في أثناء ذلك يظل الإنسان المسلم على صلة بخالقه ، ويرجع إلى الحق ، وينتصر على لحظات ضعفه ؛ لأن الضعف والسقوط والرذيلة في التصور الإسلامي أمر طارئ على الإنسان المسلم ، والأصل هو انتشار الخير وانتصاره .

ونظراً لاختلاف الإنسان المسلم وتميزه عن غيره فلابد أن تكون له نظرته الخاصة للكون والحياة ، ولابد أن يكون أدبه مختلفاً عن الآداب الأخرى ، بحيث يرسخ صلته بالخالق - عز وجل - ، ويعبر عن واقعه المميز ، ويوازن بين الجوانب الروحية والمادية في حياته . وفي هذا الإطار جاءت الواقعية الإسلامية لتقوّم الصلة بين العقيدة والأدب ، وتبني ما تهدّم ، وتصلح ما أفسده أتباع تلك الواقعيات المنحرفة ، وتعيد الأدب العربي إلى العقيدة السليمة ، حتى لا يكون

---

(١) في النقد الأدبي الحديث (مدارسه ومناهجه وقضاياه) : دراسة نقدية تطبيقية : د. محمد صالح الشنطي : ١١٥ ، دار الأندلس – حائل ، ط ١ (١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م) .

أدبنا العربي مجالاً للهجوم على معتقداتنا الإسلامية الراسخة . وبذلك كان ظهور الواقعية الإسلامية ردة فعل منطقية لتأثر طائفة من الأدباء المسلمين بتلك الواقعيات المنحرفة ، وظهور نماذج أدبية تخالف التصورات الإسلامية للإنسان والكون والحياة ، وحاجة ملحة لتنقيح الأدب العربي مما أصابه من انحراف ، والتعبير عن هموم الأمة الإسلامية وطموحاتها .

والواقعية الإسلامية أفادت من الواقعية في بعض الجوانب التي لا تتعارض مع التصورات الإسلامية ، بل تدعو إليها ، مثل الاهتمام بواقع حياة الناس ، وفي الوقت ذاته خالفتها في القضايا الجوهرية التي تتعارض مع العقيدة الإسلامية ، مثل النظرة التشاؤمية إلى الحياة .

والواقعية الإسلامية تتسم بالإيجابية والتفاؤل والشمول والتوازن ، فهي لا تقبل بالواقع المفروض المعاش ، بل تعمل على تغييره ، وترى أن الواقع في جوهره خير ، وإن غلب عليه الشرّ في بعض الفترات ، وتهتم بهموم المسلمين في كل مكان ، فلا يحدّها نطاق إقليمي ضيق ، فالعالم كله ميدانها ، ولا تعترف بالطبقية ، فالمجتمع بجميع طبقاته يدخل ضمن اهتماماتها . فنظرة الإسلام إلى الواقع أعم وأشمل ، إذ تشمل كل مناحي الحياة ، وكل ما يتعرض له الإنسان المسلم في هذه الحياة ، وتوازن بين الفرد والجماعة ، بحيث لا يلغي أحدهما الآخر ، كما فعلت الشيوعية والرأسمالية . وحتى لحظات الضعف والسقوط التي قد تمرّ في حياة المسلم تدخل ضمن اهتمامات الواقعية الإسلامية ، فتتعامل معها بوصفها لحظات عابرة سرعان ما تزول ، أما الأصل فيتمثل في الارتفاع والسمو وانتشار الفضيلة وغلبة الخير في نهاية المطاف .

إن الواقعية التي نريدها هي الواقعية الإيجابية التي تربط الإنسان بخالقه ، والأرض بالسماء ، ولا تقبل الواقع المفروض على الإنسان في الحياة بحجة

وقوعه، بل تعمل على تغييره ، وتقدم للإنسان المسلم نماذج صادقة تعبر عن الواقع الذي ينبغي أن يكون عليه في رحلته القصيرة في هذه الحياة ؛ لتحقيق الهدف الذي من أجله خلقه الله تعالى ، ألا وهو العبادة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1] .

المبحث الأول : الموضوع الروائي في الرواية :

اتخذت رواية (دفء الليالي الشاتية) من قضية الاغتراب موضوعاً لها ، وطرحت بعض جوانب الاختلاف بين المجتمع الإسلامي والمجتمعات الغربية ، وقدّمت نموذجين مختلفين من الشخصيات التي سافرت إلى الغرب بهدف مواصلة التحصيل العلمي. ويمثل النموذج الأول (عبد المحسن) الشاب الذي غادر بلاده (المملكة العربية السعودية) ، ومعه زوجه (أمل) وابنته (منار) ، إلى (أمريكا) ؛ لمواصلة دراسته العليا في ولاية (كلورادو) [2] في تخصص الكيمياء العضوية [3] ، حاملاً هموم أمته ، حريصاً على خدمة دينه ، مسلحاً بالإيمان والعقيدة . أما النموذج الثاني فيمثله ابن خالته (وليد) الذي سافر إلى (أمريكا) لتحقيق رغباته وإشباع شهواته ، ولم يكن هدفه تحصيل علم معين ، أو التخصص في دراسة محددة ، كان يريد مجرد الحصول على بعثة إلى (أمريكا) ، قال الكاتب واصفاً حاله : " لمعت عيناه بوميض ابتسامة .. كان فرحاً مبتهجاً ، ولم لا يفرح ؟ وغداً سوف يطير على متن السحاب إلى (أمريكا) ، هذا اليوم الذي طال انتظاره له .. سوف يستطيع أن يفعل أي شيء .. أوه !! كم هي ممتعة تلك الخيالات التي

---

(١) سورة الذاريات : الآية (٥٦) .

(٢) انظر : دفء الليالي الشاتية : ١٤

(٣) انظر : المرجع السابق : ٤٩ .

جالت في ذهنه !! لقد حدّثه أصدقاؤه عمّا سيجده هناك ... "[1].

سارت الرواية وفق اتجاه واضح محدد ، يرتكز على مبدأ المقابلة بين النموذجين المقدمين ، وبعد ذلك انتقلت إلى المقارنة بين الحياة في المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية ، وأظهرت الفروق الجوهرية بينهما ، من خلال تسليط الضوء على بعض مظاهر الحياة الغربية المادية ، ومقارنتها بما هو موجود في الدين الإسلامي . وفي هذا السياق أظهرت الرواية عظمة الدين الإسلامي ، وأهمية تطبيق تعاليمه السمحة ، والأمن الذي يعيشه المسلمون في حال قيامهم بتطبيق حدود الله تعالى وتعاليمه ، وأبرزت الأمن الأسري والتكافل الاجتماعي والراحة النفسية التي ينعم بها المسلمون المتمسكون بدينهم . وفي المقابل قدّمت الرواية نماذج تظهر زيف الحضارة الغربية المادية ، والفراغ الروحي الذي يعيشه الغرب ، والتفكك الأسري ، وقسوة الحياة بسبب طغيان المادة ، وأظهرت الرواية أن الحضارة المادية والتقدم العلمي الهائل الذي يعيشه الغرب يخفي وراءه كماً هائلاً من المشكلات الاجتماعية والنفسية التي يصعب التغلب عليها ، مثل ارتفاع مستوى الجريمة ، ويظهر ذلك من خلال حادثة السرقة الذي تعرض لها (عبد المحسن) وزوجه في وسط النهار ، وكانا قبل ذلك قد شاهدا مشهداً حياً للسرقة[2] . والتفكك الأسري يبرز بوضوح من خلال شخصية (السيدة بودي) المرأة العجوز صاحبة المنزل الذي يقطنه (عبد المحسن) وعائلته ، حيث كانت هذه المرأة تعيش مأساة حقيقية ، تتمثل في وحدتها ، وعقوق ابنتها (جين) لها ، فلم ترها منذ سنوات ، وكانت تكتفي بمراسلتها ، ثم انقطعت عن المراسلة ، وهذا الأمر كان

(١) المرجع السابق : ٣٢ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ٥٥ – ٥٧ .

مثار ألم وحسرة للأم التي كانت تبكي بحرقة وهي تحمل صورة ابنتها بيدها ، وتناجيها وتأمل في رؤيتها [1] . هذا الواقع المرّ يظهر التفكك الأسري الذي يعيشه الغرب.

وفي المقابل قدّم الكاتب بعض النماذج التي تعطي صورة واضحة عن تماسك المسلمين وتعاونهم ، ومن ذلك التعاون الذي وجده (عبد المحسن) من (هشام) الطالب العماني الذي رآه في الجامعة ، حيث ساعده في الحصول على السكن [2] . ويضاف إلى ذلك المعاملة الحسنة من قبل (عبد المحسن) وزوجه (أمل) مع جارتهم (السيدة بودي) ، إذ رأفا بها ، وعملا على جعل ابنتها (جين) تأتي لزيارتها بعد سنوات عدة من الانقطاع عنها ، قالت (السيدة بودي) مخاطبة (أمل): " لقد تركتني (جين) أعيش بلا أمل ، منذ غابت عني وأنا لا أجد للحياة مذاقاً .. إنني أشفق عليك إذا ما أهملتك (جين) ، ورفضت محاولتك " [3] . كان (عبد المحسن) وزوجه حريصين على مساعدة المرأة العجوز على الرغم من أنها غير مسلمة ، ولكن الإسلام يفرض على المسلم تقديم يد العون إلى المحتاج بغض النظر عن دينه أو جنسه ، قالت (أمل) مخاطبة زوجها ، ومبدية رغبتها في مساعدتها : " هذه العجوز بحاجة إلى أن نمدّ لها يد المساعدة .. إنني حزينة من أجلها ، ألم يقل رسول الله ﷺ : (في كل كبد رطبة أجر) ؟ [4] .

---

(١) انظر : دفء الليالي الشاتية : ٨٤ – ٨٩ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ١٤ .

(٣) المرجع السابق : ١١٤ – ١١٥ .

(٤) انظر : صحيح الإمام البخاري : تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز : مج ٢ / ج٣ : ١٠٧ ، كتاب المساقاة ، باب فضل سقي الماء ، رقم الحديث (٢٣٦٣) ، المكتبة التجارية ، (١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) .

- لكننا ما قصرنا معها .
- أه .. لو نستطيع أن نحضر لها تلك التي شغلت روحها .
- تقصدين ابنتها (جين) .
- نعم .. ومن غيرها ؟؟ يجب أن نسعى لتراها أمها ولو يوماً واحداً .. هذه العجوز المسكينة تعيش في حزن وألم " [1] .

بذل (عبد المحسن) جهداً كبيراً في الحصول على عنوان (جين) ، ورقم هاتفها ، واتصل بها ، ووافقت على الحضور بعد أن أخبرها بمرض والدتها مرضاً شديداً ، فحضرت لتلقي عليها النظرة الأخيرة [2] .

إن الواقعية الإسلامية في هذه الرواية لا تقف عند حدود إقليمية ضيقة ، أو طبقية تجعل المجتمع طبقات ، فالعالم كله ميدانها ، والأرض كلها مجالها ، والناس جميعاً محل عنايتها ، فلا تفرق بين غني وفقير ، ومقياسها التقوى ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [3] .

وعندما تتجه إلى نقد الفئة الظالمة ؛ فإنها تهدف إلى إصلاحها وإعادتها إلى جادة الصواب ، وبهذا الثراء والشمول تجاوزت الواقعية الإسلامية الواقعيات الأخرى التي تحبس نفسها في نطاق إقليمي ضيق ، وتقسم المجتمع إلى طبقات ، وتهتم بطبقة اجتماعية واحدة ، وتوجه سهامها إلى بقية فئات المجتمع ، ولنأخذ رواية (الفلاح) [4] لعبد الرحمن الشرقاوي (ت ١٩٨٧م) مثالاً للواقعيات

---

(١) دفء الليالي الشاتية : ١١١ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ١٣٣ .

(٣) سورة الحجرات : الآية (١٣) .

(٤) الفلاح : عبد الرحمن الشرقاوي ، عالم الكتب – القاهرة ، ١٩٦٨ م .

الأخرى ، وفيها تبرز بوضوح النظرة الضيقة غير المتزنة للمجتمع ، حيث انصرف الكاتب في روايته إلى " تصوير الصراع بين الطبقات في القرية المصرية ، وخاصة بين طبقة ذوي النفوذ من الإقطاعيين ورجال الحكم قبل الثورة ، ومن حل محلهم ... ، و بين طبقة صغار الزراع والمعدمين من جهة أخرى ... "[1].

فالصراع في رواية (الفلاح) صراع طبقي يقسم المجتمع الواحد إلى طبقات وفئات ، ويهتم بفئة واحدة ، هي فئة العمال والكادحين ، على حساب بقية الفئات . وبهذه الرؤية القاصرة الضيقة التي تقوم على إذكاء جذوة الصراعات الطبقية بين أبناء المجتمع الواحد ، والاهتمام بطبقة الكادحين والعمال ، والحمل بقوة على أصحاب الثروات - يظهر أن الغنى عند أصحاب هذه الأفكار أصبح سبة وتهمة في حق من أنعم الله تعالى عليهم بالمال ، وفي هذا رفض للتسليم بقضاء الله وقدره ، الذي قدّر كلّ شيء على عباده ، ومن ذلك الرزق .

والكاتب نجح في إقناع القراء بواقعية الأحداث التي شكلت موضوع روايته ، وخير مثال على ذلك الأحداث المرتبطة بشخصية المطرب الأمريكي (تومي) الذي أسلم ، وأصبح اسمه (عبد الكريم)[2] ، فهذه الأحداث تركت أثراً في نفسي حينما فرغت من قراءة الرواية لأول مرة ، وسألت كاتبها عنها ، فتبسم ، وأخبرني أنها أحداث خيالية ، وشخصية (تومي) أيضاً خيالية ، وأنني لست أول من طرح عليه مثل هذا السؤال . ومن هنا تبرز براعة الكاتب في الاستفادة من الواقع ، وإعادة تشكيله بما يتماشى مع الموضوع الروائي ؛ فإذا كانت شخصية (تومي) خيالية ، فهناك في الواقع المعاش عشرات من المشاهير والعلماء الذين

---

(١) اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٦٧ م (دراسة نقدية) : د . شفيع السيد : ١٨٩ ، مكتبة الشباب – مصر ، ١٩٨٨ م .

(٢) انظر : دفء الليالي الشاتية : ٧٣ – ٨٣ .

أسلموا ، وتحولوا إلى دعاة . وبهذا نجح الكاتب في إقناع القراء بواقعية الأحداث الروائية التي شكلت موضوع روايته .

وعن هذه القضية قال الدكتور (محمد نجم) : " ولا يفرض في الكاتب الذي يتجه اتجاهاً واقعياً في قصته ، أن يعرض علينا من الحوادث ما سبق وقوعه فعلاً ، أو ما ثبتت صحته بالوثائق والمستندات ، ولا من الشخصيات ما له ذكر في سجل المواليد والوفيات ، ولكن عليه أن يقنعنا بإمكان حدوث مثل هذه الحوادث ووجود مثل هذه الشخصيات في الحياة التي نحياها ونعرفها " [1] .

إن الموضوع الروائي في رواية (دفء الليالي الشاتية) حافل بالوقائع الجزئية ، وقد تمكن الكاتب من ربط تلك الجزئيات والوقائع التي حفلت بها الرواية بقضيته الرئيسة المتمثلة في المقابلة بين الحضارة الإسلامية الأصيلة والحضارة الغربية المادية الزائفة .

المبحث الثاني : شخصيات الرواية :

الشخصية في القصة هي التي تقوم بالأحداث ، وهي المحور الذي يستقطب الاهتمام ، وحتى عندما يولي القاص عناية فائقة لعنصر آخر ، فإن أهمية ذلك العنصر مرتبطة بالشخصية ، فاهتمام القاص بالبيئة مثلاً مرده إلى اهتمامه بالإنسان الذي يعيش في ذلك المكان والزمان ، واهتمامه بالأفكار والموضوعات والأحداث مرده إلى أنها تصدر عن الأشخاص .

وفي الرواية الواقعية يستقي الروائي شخصياته من الواقع المحيط به ، والشخصيات التي شاهدها في حياته أو سمع بها أو قرأ عنها ، ويمكن أن يأتي

---

(١) فن القصة : د . محمد يوسف نجم : ١٠ – ١١ ، دار الثقافة – بيروت ، بدون تاريخ .

الكاتب بشخصية تجمع بين سمات شخصيات واقعية متعددة ، وتكون وظيفته إعادة تشكيل الشخصية ، لتعبر عن رؤيته وأفكاره ؛ وبذلك اكتسبت الشخصيات الواقعية مزيداً من الجاذبية لدى القراء ؛ إذ يربطون في أثناء قراءة الرواية بين الشخصيات التي يطالعونها عبر صفحات الرواية وأناس عاشوا معهم في واقع الحياة أو سمعوا عنهم .

والشخصيات الروائية تنقسم بحسب الوظائف التي تقوم بها ، وظهورها على مسرح الأحداث ، وتأثيرها في الأحداث والشخصيات الأخرى ، إلى شخصيات رئيسة (بطلة) وشخصيات ثانوية .

وفي رواية (دفء الليالي الشاتية) تمثلت الشخصيات البطلة أو الرئيسة في شخصيتين، هما : (عبد المحسن) وزوجه (أمل) ، وهما يمثلان أنموذجاً للإنسان المسلم المتسلح بالإيمان ، المتمسك بدينه ، الحامل هموم أمته أينما حلّ ، والقادر على إقامة حياة قوامها الإسلام في بلاد الغرب . وقد استطاع الكاتب من خلال نموذجه المختار أن يقدّم شخصيات إسلامية محتملة الوجود في الحياة ومقنعة تنبض بالحيوية ، إذ وضع (عبد المحسن) نفسه في خدمة قضايا دينه وأمته ، وحاول أن يفعل كل ما يستطيع في سبيل ذلك ، ونجح في تجاوز التحديات التي واجهته بكل إيمان وقوة وثبات ، ومن ذلك نجاحه في إلقاء محاضرة يرد فيها على (د . بهاء) الذي قدّم محاضرة سخر فيها من الإسلام وتهجم على عقائده وتشريعاته ، فما كان من (عبد المحسن) إلا أن قرر أن يدعو أحد المختصين لإلقاء محاضرة يرد فيها على ما جاء من أكاذيب في محاضرة (د. بهاء) ، وعندما لم يجد من يقوم بذلك ، قام بإلقاء محاضرة تحدث فيها عن الأمن في بلاده ، ونجح في إبراز بعض جوانب

الأمن التي تحققت بفضل تطبيق الشريعة الإسلامية [١] ، وفي نهاية المحاضرة أحاط به " عشرات من الحضور، بعضهم يستبين جوانب من المحاضرة ، وآخرون يسألونه أن يعدهم بمحاضرة أخرى عن هذا الموضوع ، وهو يجيب بلباقة ولطف " [٢] .

ونجاحه في مساعدة ابن خالته (وليد) في التحول إلى طريق الصواب ، بعد أن كان يعيش بلا هدف واضح ، وعلى الرغم من أن (وليداً) لم يكن يريد الاتصال (بعبد المحسن) ؛ لأنه كان يشعر أنه بمثابة الرقيب الذي فرّ منه ، وأنه سيحول بينه وبين تحقيق رغباته ، إلا أن (عبد المحسن) زاره وعرض عليه المساعدة ، ودعاه إلى زيارته [٣] . وبسبب إصراره على مساعدته ، وبمرور الوقت " خفّت إلى حدّ كبير وحشة (وليد) من (عبد المحسن) الذي كان يبذل كل سبيل لمساعدة ابن خالته وإكرامه . وكان شعوره بالنفور منه يقلّ في نفسه كلّما تذكر اللطف البالغ الذي يعامل به ... " [٤] .

وكانت دعوة (عبد المحسن) (وليداً) إلى زيارة المطرب الأمريكي (تومي) - الذي أسلم وأصبح اسمه (عبد الكريم) - مرحلة جديدة في حياة (وليد) ، حيث تركت تلك الزيارة أثراً في نفسه ، ودفعته إلى إعادة التفكير في مراحل حياته السابقة [٥] ، وأصبح بعد ذلك أكثر إقبالاً على (عبد المحسن) ، وأخبره برغبته في الانتقال إلى ولاية أخرى ليبتعد عن الجو الذي يعيش فيه ، وبالفعل انتقل إلى

---

(١) انظر : دفء الليالي الشاتية : ٤٧ - ٥١ ، ٦٢ - ٧٢ .

(٢) دفء الليالي الشاتية : ٧١ .

(٣) انظر : المرجع السابق : ٣٩ - ٤٦ .

(٤) المرجع السابق : ٧٣ .

(٥) انظر : المرجع السابق : ٧٣ - ٨٣ .

ولاية أخرى ؛ بحثاً عن الصحبة الطيبة التي ستعينه على تغيير مجرى حياته [١] .

ويضاف إلى ذلك - أيضاً - نجاحه - بعد توفيق الله تعالى - في إنشاء مسجد يجمع المسلمين في أوقات الصلاة ، إذ استطاع إقناع أحد الأثرياء (أبي فهد) الذي كان يرقد في أحد مستشفيات مدينة (دنفر) - بفكرة إنشاء مسجد ، وبعد أن وضّح له حاجة المسلمين إلى المسجد سارع بالموافقة على ذلك ، وبعد مرور وقت ليس بالطويل شهدت تلك المدينة إنشاء أول مسجد [٢] .

حاول الكاتب أن يحدد المشكلة التي يعاني منها الإنسان المسلم ، والمتمثلة في الهزيمة النفسية التي يعيشها وتسيطر عليه بسبب بعده عن الدين ، وأن يؤكد على أنه متى ما انتصر على نفسه وتجاوز الهزيمة الداخلية ، فإنه سيصل إلى النتيجة الحتمية ، وهي النجاح في أمور الآخرة والدنيا . وكان نموذجه المختار عنصراً فاعلاً ومؤثراً وساعياً إلى تغيير الوقع ، وباحثاً عن مخرج من المشكلات التي يتعرض لها ، وبهذا المفهوم فإن لشخصية البطل في التصور الإسلامي " دوراً إرادياً فاعلاً ومؤثراً في حركة الواقع والتاريخ ، وهو ليس نتيجة أو استجابة لحركة الواقع والتاريخ . ولهذا فالإسلام يرفض الجبرية التاريخية أو الجبرية الغريزية التي يخضع لها الإنسان في القصة الواقعية الماركسية أو الرأسمالية ... " [٣] .

تمكن (عبد المحسن) وزوجه (أمل) من إقامة مجتمع إسلامي في (أمريكا) ، وأن يكونا فاعلين ومؤثرين ، وظهرت قدرتهما على صنع الحدث وتطويره ،

---

(١) انظر : المرجع السابق : ١٠١ – ١١٠.

(٢) انظر : المرجع السابق : ١٢٤ – ١٣٢ .

(٣) الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي : د . شلتاغ عبّود : ١٤٨ ، دار المعرفة – دمشق ، ط ١ (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) .

والتأثير في الآخرين ، وبذلك بدا البطل الإسلامي في هذه الرواية إيجابياً ، وتبرز بطولته الفعلية من خلال قدرته على إثبات وجوده على مسرح الأحداث ، وتغيير الواقع ، والعمل على صنع واقع جديد مشرق يتواكب مع التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة ، وهذا ما يميز الشخصية الإسلامية عن الشخصيات الأخرى .

والملاحظ على شخصيتي (عبد المحسن) و (أمل) أنهما شخصيتان جاهزتان ومكتملتا النمو [1] ، فمنذ بداية الرواية يأخذ القارئ انطباعاً عاماً عنهما ، ويظهر له أنهما غير منبهرتين ببريق الحضارة الغربية المادية ، وأنهما تتسمان بالإيمان العميق ، والتوكل على الله تعالى ، والثبات ، يقول الدكتور (حسين علي محمد) عن اكتمال نمو شخصية (عبد المحسن) بطل الرواية : " ومن الفصل الأول من الرواية نرى شخصية البطل مكتملة ، إنه يقدم على أمريكا ، قدوم العارف لها ، غير المنبهر بهذه الحضارة ... " [2] .

وبالإضافة إلى اكتمال نمو هاتين الشخصيتين فإنهما تتسمان ببساطة التركيب [3] ، فشخصية (عبد المحسن) و (أمل) يمكن أن نعبر عنهما بجمل

---

(١) الشخصية المكتملة النمو هي الشخصية الجاهزة أو المسطحة ، وهي " التي تظهر في القصة – حين تظهر – دون أن يحدث في تكوينها أي تغير ، وإنما يحدث التغير في علاقاتها بالشخصيات الأخرى فحسب . أما تصرفاتها فلها دائماً طابع واحد " . انظر : الأدب وفنونه : د . عز الدين إسماعيل : ١١٧ ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ط ٨ (بدون تاريخ) .

(٢) مراجعات في الأدب السعودي : د . حسين علي محمد : ٨٨ ، دار الوفاء – الإسكندرية ، ط ١ (٢٠٠١م) .

(٣) الشخصيات بسيطة التركيب " تتسم بلون واحد لا تبرحه ، أو صفة واحدة : فضيلة أو رذيلة ، تتبع كل تصرفاتها منها أو توجهها وجهتها " . انظر : دراسات في القصة العربية الحديثة : د .محمد زغلول سلام : ١٨ ، منشأة المعارف – الإسكندرية ، (١٩٨٧م) .

قصيرة ومحددة ، فنقول على سبيل المثال : إنهما شخصيتان إسلاميتان إيجابيتان .

وفي مقابل هاتين الشخصيتين الرئيستين فهناك في الرواية مجموعة من الشخصيات الثانوية أو المكملة " وهي مجموعة الشخصيات التي يضطر القصاص إلى استخدامها لتقوم بإدارة بعض الأحداث الجانبية اللازمة لتسيير الحدث الرئيس، أو لإظهار شخصية البطل وتوضيح بعض معالمها وسماتها ، سواء عن طريق الكشف عنها ، أو عن طريق معارضتها، أو عن طريق إظهار نقيضيها "[1] .

ومن هذه الشخصيات : (وليد) ، (وأبو راشد) ، والطفلة (منار) ، و(السيدة بودي) ، وابنتها (جين) ، والمطرب الأمريكي (تومي)، والرجل الثري (أبو فهد) ، وغيرها من الشخصيات التي ظهرت على مسرح الأحداث في الرواية ، وكان لها حضور متفاوت من حيث الأهمية .

وفي هذا المقام سأقف عند ثلاث شخصيات ثانوية كان لها أثرها الواضح في بلورة الفكرة العامة التي عمل الكاتب على إبرازها من خلال روايته ، وهذه الشخصيات ، هي : (وليد ، والمطرب الأمريكي تومي ، و أبو فهد الرجل الثري).

تمثل شخصية (وليد) أنموذجاً حيّاً للمسلم فاقد الهوية الذي ليس له أي أثر في الحياة ، السلبي العاجز عن تجاوز ضعفه ، والفاقد لكل طموح ، ولكنه يرجع إلى طريق الصواب بعد أن سافر إلى أمريكا ، وعاش في الغربة ، وكان لجهود ابن خالته (عبد المحسن) – بطل الرواية – أثرها في التحول الذي طرأ عليه[2] .

وفي مقابل هذه الشخصية نجد شخصية المطرب الأمريكي (تومي) الذي تحول

---

(١) تذوق الأدب : طرقه ووسائله : ١٥٤ .

(٢) انظر : دفء الليالي الشاتية : ٧٣ – ٨٣ ، ١٠١ – ١١٠ .

من الكفر إلى الإيمان، حيث شرح الله تعالى صدره للإسلام، وأصبح من الدعاة [1]

والتحول الذي طرأ على شخصيتي (وليد) و (تومي) من الباطل إلى الحق ، ومن الضلال إلى الهداية ، له ما يبرره فنياً ، حيث قدّم الكاتب مبررات مقنعة لتحول الشخصية الروائية من الضد إلى الضد ، فتحول (وليد) كان بسبب الغربة والفراغ الروحي الذي كان يعيشه ، والأهم من ذلك المحاولات الجادة التي قام بها ابن خالته (عبد المحسن) ، ومنها : مواصلة زيارته ، وعرضه المساعدة عليه منذ وصوله إلى (أمريكا) ، على الرغم من الاختلاف الكبير بينهما ، وشعور (وليد) بالنفور منه ، ومرافقته في زيارة المطرب الأمريكي (تومي)، وبعد أن شرح الله تعالى قلب (وليد) إلى التوبة قرر تغيير المكان الذي يعيش فيه ، فانتقل إلى ولاية أخرى [2] .

أما (تومي) فكان سبب تحوله إلى الإسلام ذلك الفراغ الروحي الذي يعيشه ، قال عن نفسه موضحاً سبب إسلامه : " لقد كنت في فترة من الفترات في أوج شهرتي وعنفوان مجدي الفني . كان لدي كل ما أريد تقريباً . لكنني كنت أعيش في داخلي صراعاً مع فكرة الموت . كانت كلمة الموت وحدها كفيلة أن تفسد عليّ يومي كله ، كنت أتساءل : لماذا أموت ؟ وكنت أصرخ في داخلي : لا أريد أن أموت !

أأترك كل هذا العز والجاه ؟ وإلى أين سأمضي ؟ لست أدري ! ... " [3] .

عاش (تومي) حياته في قلق ، وتردد على طبيب نفسي ، وكان موت رفيق

---

(١) انظر : المرجع السابق : ٧٣ – ٨٣ .

(٢) انظر : دفء الليالي الشاتية : ١٠٣ – ١١٠ .

(٣) المرجع السابق : ٧٦ .

حياته (هارولد) بمثابة الصدمة التي هزته ، وأثارت في نفسه أسئلة عدة ، وحتى الحبوب المهدئة عجزت عن تهدئته ، وبعد أن قرأ خبراً عن مركز إسلامي يقوم بتوزيع كتب تعرّف بالإسلام ، قام بطلب بعضها ، وبعد أسبوع وصلته ثلاثة كتب صغيرة الحجم بلغة إنكليزية راقية ، وبعد أن أنهى قرأتها طلب من المركز كتباً أخرى ، واتجه إلى المركز بحثاً عن القرآن الكريم ، وبعد قراءة ترجمة معاني القرآن الكريم أعلن إسلامه [1] . ومن خلال هذه الشخصية عرضت الرواية مشكلة القلق التي يعاني منها إنسان هذا العصر في الغرب ، بسبب الفراغ الروحي الذي يعانيه ، وأكدت أن الحل الوحيد لتلك المشكلة يتمثل في الإيمان بالله تعالى .

أما شخصية الرجل الثري (أبو فهد) فجاءت لتقدم أنموذجاً طيباً للمسلم الإيجابي الذي وسّع الله تعالى عليه رزقه ، وأظهرت كيف جعل ماله في خدمة الإسلام . وأرى أن مثل هذه الشخصية ، تبرز بوضوح التصور الإسلامي الذي لا يعترف بالطبقية ، ويجعل التقوى هي المقياس الذي يحكم من خلاله على الإنسان ، وأن المجتمع يمثل لحمة واحدة ، لا فرق بين غني وفقير ، ولا أبيض وأسود ، فالإسلام يقيس الناس بأعمالهم وتقواهم .

أما الواقعيات الأخرى فتقسم المجتمع إلى طبقات ، وتهتم بالطبقات الفقيرة والمتوسطة ، وتحمل على الشخصيات الغنية . وفي هذا السياق قدّمت رواية (دفء الليالي الشاتية) من خلال شخصية الرجل الثري المحسن - صورة حسنة للإنسان المسلم الذي يسخّر ماله في خدمة دينه ، حيث عمل هذا الرجل على بناء مسجد في (أمريكا) يجمع المسلمين في أوقات الصلاة [2] .

---

(١) انظر : المرجع السابق : ٧٣ – ٨٣ .

(٢) انظر : دفء الليالي الشاتية : ١٢٤ – ١٣٢ .

قدّمت رواية (دفء الليالي الشاتية) شخصيات متنوعة تنبض بالحيوية والحركة ، وعملت على إبراز فكرة الكاتب ، وأظهرت نماذج مشرقة للشخصية الإسلامية التي تعرضت للظلم من قبل طائفة من الكتاب العرب . ويضاف إلى ذلك أنها حفلت بنماذج بشرية مختلفة الأديان والأهواء والأجناس ، وبذلك اتسمت الرواية بنظرة شمولية إلى الإنسان والكون والحياة تتفق مع عالمية الدين الإسلامي وشموليته .

المبحث الثالث : البيئة الروائية :

تمثل البيئة الروائية عنصراً مهماً من عناصر الرواية ، ونعني بها المكان الذي تجري فيه الأحداث ، وتتحرك الشخصيات ، والزمان الذي تستغرقه الرواية . وللبيئة أثرها في " تطوير الأحداث والحبكة القصصية ، وفي حياة الأبطال وصراعهم مع القوى المختلفة لهذه البيئة ، أو الظروف التي تمليها عليهم ... "[1] .

والرواية الواقعية تستمد – غالباً – أهميتها من توجهها إلى تصوير البيئة الروائية وعلاقاتها بالشخصيات الروائية ، إذ إن هناك علاقة وثيقة تنشأ بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها ، وهناك تأثير متبادل بينهما ، وتظهر براعة الروائي وقدرته من خلال إجادته في إظهار ذلك الأثر .

ورسم البيئة الروائية يسهم في فهم واقع المجتمع الذي تعيش فيه الشخصيات ، وله " أثر كبير في اندماج القارئ مع القصة ، ومشاركة مؤلفها بكل ما يرغب في التعبير عنه ، ولا يكفي عند تصوير البيئة أن نصور الزمان والمكان ، بل لا بد من رسم الجو العام ... حتى يحسّ القارئ بكل ما يحيط بالأحداث إحساساً دقيقاً "[2]

---

(١) دراسات في القصة العربية الحديثة : ٦ .

(٢) القصة والرواية : د . عزيزة مريدن : ٣١ ، دار الفكر – دمشق ، (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) .

وفي رواية (دفء الليالي الشاتية)كانت (أمريكا) مسرحاً للأحداث ، باستثناء الفصل الرابع الذي كانت (المملكة العربية السعودية) مسرحاً لأحداثه [1] . وعلى الرغم من البعد المكاني الكبير بين الدولتين إلى أن وعي الشخصيات وقدرتها على التفاعل مع المكان الجديد أزال كل الحواجز ، وأظهر قدرة الإنسان المسلم على التعايش مع المتغيرات. وهذا الأمر يحسب للكاتب ، إذ لا يشعر القارئ بحدوث فجوة في الرواية ، بسبب انتقال الشخصيات الرئيسة إلى بيئة جديدة وبعيدة عن موطنها الأصلي .

تجاوز الكاتب في روايته النظرة القطرية والإقليمية الضيقة ، حيث جعل (أمريكا) مسرحاً لأحداث روايته ، وبذلك يكون قد أكد على اتسام الواقعية الإسلامية بالاتساع والشمول ، فالعالم كله ميدانها ، والأرض كلها مجالها . ومما يظهر حرص الكاتب على تجسيد هذا المفهوم – أيضاً - جعله (إندونيسيا) ، وهي أكبر بلد إسلامي ، مسرحاً لأحداث روايته الثانية (مهما غلا الثمن) [2] ، وبذلك يكون الكاتب قد رسّخ مفهوم اتساع أفق الواقعية الإسلامية ونظرتها الشمولية إلى الإنسان والكون والحياة ، وبالتالي رسخ مبدأ شمولية الدين الإسلامي وعالميته . أما الواقعيات الأخرى فتحبس نفسها في نطاق إقليمي ضيق ، بل ربما في قرية صغيره [3] ، وكأنه لا يوجد خارج حدود ذلك القُطر أو تلك القرية

---

(١) انظر : دفء الليالي الشاتية : ٣٢ – ٣٨ .

(٢) مهما غلا الثمن : د . عبد الله العريني ، دار إشبيليا – الرياض ، ط ١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م) .

(٣) ينظر على سبيل المثال روايات (عبد الرحمن الشرقاوي) الأرض (١٩٥٤ م) ، وقلوب خالية (١٩٦٥م) ، والفلاح (١٩٦٨م) . انظر : اتجاهات الرواية المصرية (منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٦٧ م) : ١٧٣ – ٢١٠ .

قضايا تعنينا ، وأناس نهتم بهم .

والكاتب كان موفقاً عندما جعل انطلاقة أحداث روايته تبدأ في الطائرة التي نقلت (عبد المحسن) وزوجه (أمل) وابنتهما (منار) من (المملكة) إلى (أمريكا) [1] . حيث هيّأ هذا الانتقال القارئ لاستقبال أحداث جديدة ، وأدخله في الجو العام للرواية دون الحاجة إلى تمهيد . وهذا الانتقال - أيضاً - أضفى على الرواية مزيداً من التشويق ، وأزال جو الرتابة الذي يسيطر - في كثير من الأحيان - على بداية بعض الروايات .

وقد عمد الكاتب منذ بداية الرواية إلى تقديم صورة واضحة عن البيئة المكانية الجديدة التي ستجري فيها أحداث الرواية ، وعمل على تسمية الأماكن ، ووصفها بدقة ، وهذا الأمر أضفى على الرواية مزيداً من الواقعية ، ومن ذلك قوله واصفاً مدينة (نيويورك) الأمريكية حيث قضى (عبد المحسن) يوماً واحداً قبل الانتقال إلى ولاية (كلورادو) : " كانت سيارة الأجرة تجوب شوارع المدينة الأمريكية الكبيرة بسرعة ، وبدا أن الثلاثة في سباق مع كل شيء ، كل المارة يجرون مسرعين ، ليست هناك لحظة واحدة ، لالتقاط الأنفاس ... (نيويورك) مدينة العمل والتجارة ، ذات القلب الصلد القاسي ، مدينة الآلة الكبيرة التي تطحن كل شيء في دورانها ...

ترى ما شعور (أمل) لو عرفت أنها الآن في أكثر المدن الأمريكية ارتفاعاً في معدل الجريمة ؟ وأن فيها أكثر مدمني المخدرات ؟ وأنه رغم كثرة هذه العمارات التي تناطح السحاب إلا أن مشكلات السكن من أبرز مشكلاتها المستعصية على

---

(١) انظر : دفء الليالي الشاتية : ٥ .

الحل !! ... "[1].

حرص الكاتب من خلال وصف البيئة الجديدة على إعطاء القارئ صورة واضحة عن الجو العام ، وأظهر قدرة الشخصية الإسلامية على التعامل بإيجابية مع المواقف المختلفة ، وصلابتها وتميزها ، واظهر رحابة التشريع الإسلامي ، وشموله لكل جوانب الحياة ، فقد ردد (عبد المحسن) دعاء الوصول من السفر ، ودعاء الدخول إلى بلدة أو أرض غريبة عليه حينما وصلت الطائرة إلى (نيويورك)[2].

والملاحظ على وصف الكاتب للبيئة المكانية اهتمامه بتقديم أوصاف أسهمت في إعطاء صورة واضحة عن الجو العام للرواية ، بحيث تجاوزت أن تكون مجرد وصف للأماكن التي جرت فيها الأحداث ، بل كان لها أثرها في رسم الشخصيات وتطوير الأحداث ، ومن ذلك وصف الجو العام داخل الطائرة ، حيث قالت (أمل) لزوجها (عبد المحسن) : " لعلك لا تصدق أنني لم أنم حتى هذه اللحظة ، كلّما تلفتّ يمنة أو يسرة رأيت أكثر ركاب الطائرة يغطون في نوم عميق ، قلت في نفسي : ما أسعدهم !

أما أنا فلم يغمض لي جفن ، هذا الصندوق السحري الذي يحملنا في أجواء الفضاء ، لم يكن صالحاً لنوم واحدة مثلي لم تتعود هذه الرحلات الطويلة ، ... "[3].

ويظهر ذلك - أيضاً - في وصفه الفندق في (نيويورك) والعمائر المحيطة به ، حيث قال الكاتب : " وبدا لها أن الفنادق مهما كانت فخمة وفاخرة فهي

---

(١) المرجع السابق : ٩ . وانظر - أيضاً - : ٩ - ١٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ٨ .

(٣) دفء الليالي الشاتية : ٦ .

جميلة في الأيام الأولى فقط ، ومع أن كل فندق يحاول إقناعك أنه منزلك الثاني إلا أن الإنسان سرعان ما يملّ جوّها وطبيعتها ، ومأكولاتها ، ويحنّ إلى سكن خاص به ، مهما كان بسيطاً متواضعاً .

كان من حس حظها أن غرفتهم كانت في الطابق الثامن عشر ، وهذا منحها فرصة النظر إلى مدينة (نيويورك) ، والتطلع إلى أكبر قدر ممكن من معالمها القريبة من الفندق . كان هنالك مبنى لا تخطئ العين معرفته ، مبنى الأمم المتحدة الذي نقشت صورته في ذهنها ، من كثرة ظهوره في الصحف ... "[1] .

والكاتب لم يكتف برسم البيئة المكانية الجديدة بل عمد إلى المقارنة بين البيئتين ، وهذه المقارنة جاءت في سياق الجو العام للرواية المبني على الموازنة بين الحضارتين الإسلامية الأصيلة والغربية المادية ، وكان الكاتب قد بدأ روايته بالإشارة إلى فارق التوقيت بين (المملكة) و (أمريكا) ، حيث قالت (أمل) مخاطبة زوجها : " أتذكر ؟؟ كانت الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل حينما أقلعت بنا الطائرة من (الرياض) ، وبعد هذه الساعات الطوال نصل إلى هنا فنجد أننا لم نتعدّ السابعة صباحاً ... "[2] .

هذه المقارنة بين التوقيت في البلدين في بداية الرواية تظهر حرص الكاتب على تأكيد وجود فوارق بين الحياتين والحضارتين الإسلامية والغربية . ومن النماذج التي تظهر ذلك ما جاء في المحاضرة التي ألقاها (عبد المحسن) يرد فيها على محاضرة (د. بهاء حنا) ، حيث تحدث (عبد المحسن) فيها عن الأمن في بلاده بفضل تطبيق الحدود الشرعية ، وأظهر الخوف الذي يعيشه الإنسان في الغرب

---

(١) المرجع السابق : ١٢ . وانظر على سبيل المثال : وصف المنزل : ١٤ – ١٨ ، ووصف الطبيعة : ٥٢ .

(٢) المرجع السابق : ٦ .

بسبب عجز القوانين الوضعية عن توفير الأمن للمجتمع [1].

يلاحظ من خلال وصف الأمكنة التي جرت فيها الأحداث - مثل الطائرة والمطار والفندق والشوارع والبيت ، وغيرها - أن الكاتب لم يقدّم مجرد أوصاف عن الأماكن التي كانت فضاء ومسرحاً للأحداث ، بل حرص على إبراز أثرها في الشخصيات الروائية ، وإضفاء مزيد من الواقعية على الأحداث ، وبذلك كان المكان في الرواية عنصراً أصيلاً وفاعلاً من عناصر البناء الفني للرواية ، وكان لتلك الأمكنة حضورها الفاعل على مسرح الأحداث ، وبخاصة أن الكاتب عمد إلى رسم البيئة المكانية للرواية منذ البداية ، وعلى الرغم من صعوبة الغربة ورهبة المكان الجديد الذي انتقل إليه بطل الرواية وأسرته إلا أنه استطاع بفضل إيمانه بالله تعالى أن يتعايش مع الحياة الجديدة ، وهذا مما يميز الشخصية الإسلامية المتسلحة بالإيمان عن غيرها من الشخصيات .

ومن حيث الزمن في الرواية نجد أن الفترة الزمنية التي استغرقتها الرواية بلغت سبع سنوات ، وهي الفترة الزمنية التي قضاها بطل الرواية في (أمريكا) ، وقد حدد الكاتب ذلك في الفصل الأخير من روايته ، حيث قال : " هاهي ذي سبع سنوات مضت قضاها (عبد المحسن) وأسرته في الغربة في هذا البلد الغريب البعيد ، لقد استطاع أن ينهي مرحلة الماجستير ومن بعدها الدكتوراه بمدة قياسية وجيزة ... " [2] .

واختار الكاتب فترة زمنية معاصرة حافلة بالأحداث المرتبطة بواقعنا المعاصر . وهي فترة طويلة إذا ما قسناها برواية بلغ عدد صفحاتها مائة وثمان وخمسين

---

(١) انظر : دفء الليالي الشاتية : ٦٢ –٧٢ .

(٢) المرجع السابق : ١٥٠ .

صفحة ، وأدى ذلك إلى ظهور فترات زمنية كبيرة في زمن الرواية لم يتحدث عنها الكاتب ؛ ولذا عمد إلى اختيار فترات زمنية حاسمة في حياة شخصياته في الغربة ، وترك فترات أقل أهمية . ولو عمد الكاتب إلى اختيار فترة زمنية قصيرة ، لاستطاع أن يعطي الأحداث المهمة ما تستحقه من اهتمام ، ويبرز تفاعل الشخصيات مع تلك الأحداث ، وبالتالي يتمكن من تمثيل الأفكار المطروحة في الرواية بصورة أوضح .

والزمن في الرواية سار سيراً تصاعدياً ، وعمد الكاتب – غالباً - إلى الإشارة إلى حركته بصورة مباشرة ، كقوله : " بعد عشرة أيام من مغادرة (نيويورك) والوصول إلى ولاية (كلورادو) ... "[1] .

وظف الكاتب عنصر البيئة : زماناً ومكاناً في روايته توظيفاً حسناً ، بحيث عبّرت عن تميز الواقعية الإسلامية ، وظهرت الشخصيات الإسلامية في الرواية قادرة على التعايش مع البيئة الجديدة ، وإقامة مجتمع إسلامي في دولة من أكبر دول العالم ، وأكثرها نفوذاً وقوة .

المبحث الرابع : الحبكة[2] الفنية في الرواية :

الحبكة الفنية هي " خطة أو رسم تخطيطي لتحقيق غرض معين . وتشير في الأدب إلى ترتيب الأحداث للوصول إلى تأثير مقصود . والحبكة هي سلسلة من الأفعال التي تصمم بعناية ، وتتشابك صلاتها وتتقدم عبر صراع قوي بين الأضداد إلى ذروة وانفراج "[3] .

---

(١) دفء الليالي الشاتية : ١٤ . وانظر : ٢٧ ، ٨٤ ، ١٥٠ ، وغيرها من المواضع .

(٢) الحبك في اللغة : " الشدّ والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب " .

انظر : القاموس المحيط : مادة (ح ب ك) .

(٣) معجم المصطلحات الأدبية : إبراهيم فتحي : ١٣٥ ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين – تونس ، ط ١ (١٩٨٦م) .

ووجود الحبكة في القصة هو الذي يفرق بين القصة الفنية وغير الفنية ؛ لأن أي قصة لابد لها من وجود أحداث ، ولكن في القصة الفنية تجري الأحداث وفق نظام معين، ويعالجها القاص معالجة فنية ، ويكون التأكيد في سرد أحداثها على مبدأ السببية ، " ففارق كبير بين أن تقع هذه الأحداث بسبب تلك الأحداث الأخرى ، وأن تقع عقب غيرها " [1] .

وللحبكة الفنية عناصر تعمل على ربط أحداث الرواية ، هي : البداية ، ووسائل التشويق ، والصراع ، والتوقيت والإيقاع ، والعقدة ، والحل .

وفي هذا المبحث سيتم الحديث عن عناصر الصراع والعقدة والحل في رواية (دفء الليالي الشاتية) ؛ لأنه من خلال هذه العناصر يبرز تميز الواقعية الإسلامية عن غيرها من الواقعيات .

١ – الصراع (التدافع) :

الصراع عنصر مهم من عناصر الحبكة الفنية ، ووجوده في العمل الروائي ضرورة تفرضها الواقعية والصدق الفني ، وافتقاد الرواية الصراع يفقدها الحيوية والموضوعية ؛ لأن الصراع " مكون رئيس من مكونات الحياة ، وسمة من سمات الكائنات ، وهو ظاهرة تختلف في الشدّة والحدّة ، ولها محصلة تعلو وتهبط ، وتثري أو تفقر وتجدب أو تخصب ، وفي كلا الوضعين : المحصلة الإيجابية أو السلبية فإن الصراع له قوة دفع أي حركة دائبة ... " [2] .

والصراع في رواية (دفء الليالي الشاتية) كان صراعاً بين الحق والباطل ،

---

(١) فن الشعر : أرسطو طاليس ، ترجمة عبد الرحمن بدوي : ٣٠ ، مكتبة النهضة المصرية ، (د ت) .
وانظر : أركان الرواية : إ . م . فورستر : ٦٧ ، ترجمة موسى عاصي ، جروس برس – طرابلس – لبنان ، (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) .

(٢) آفاق الأدب الإسلامي : د . نجيب الكيلاني : ١٠٥ ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط ١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م) .

واتخذ من أسلوب الحوار الهادئ ، وطرح الأفكار بصورة منطقية ، سبيلاً للوصول إلى الحقيقة ، وإقناع الطرف الآخر . لقد حرص الكاتب في روايته على ترسيخ مبدأ الحوار بين الحضارات والأفكار ، وأعطى أنموذجاً حسناً لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان المسلم في تعامله مع الآخر . ومثّل (عبد المحسن) وزوجه (أمل) جانب الخير والحق في الرواية ، وقدّم الكاتب من خلالهما صورة حسنة للشخصية الإسلامية في شتى مناحي الحياة ، ومنها التعامل مع الآخر المخالف .

ومن الوهلة الأولى يظن القارئ أن الرواية تفتقد عنصر الصراع ، أو أن أثر الصراع في الرواية ضعيف ، والسبب في ذلك يرجع إلى أن القوى المتصارعة في الرواية غير متساوية ، فالشخصيات التي تمثل الخير والحق في الرواية كانت أقوى من الشخصيات الأخرى ، وقوتها نابعة من أيمانها بالله تعالى وثقتها به . ويضاف إلى ذلك أن الصراع في الرواية لم يكن صراعاً شخصياً بهدف الوصول إلى تحقيق غايات دنيوية ، بل كان صراعاً عقدياً فكرياً ، هدفت الشخصية الإسلامية فيه إلى إقناع الطرف الآخر من المسلمين المقصرين مثل (وليد)[1] ، ومن غير المسلمين مثل (د . بهاء حنّا)[2] – بعظمة الدين الإسلامي ، وأنه الحل لجميع المشكلات التي يعاني منها العالم .

وخفوت حدة الصراع في الرواية أفقدها عنصر التشويق والإثارة ، فكان بمقدور الكاتب أن يبرز الصراع الخفي بين (عبد المحسن ووليد) ، فجذوة الصراع بينهما كان يمكن أن يستغلها الكاتب في إقامة أحداث جانبية تسهم في تجسيد الخلاف الفكري بينهما ، مما يسهم في إضفاء مزيد من الإثارة والتشويق على

---

(١) انظر : دفء الليالي الشاتية : ٣٩ – ٤٦ ، ٧٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ٤٧ – ٥١ ، ٦٢ – ٧٢ .

الرواية .

إن تحقيق نصر شخصي لم يكن هدفاً للشخصية الإسلامية في الرواية ؛ لذلك بدت راغبة في تقديم النصح بكل إخلاص وصدق إلى الطرف الآخر ، وهذا الأمر ربما يدفع القارئ إلى الشعور بافتقاد الرواية عنصر الصراع ، ولكن الواقع بخلاف ذلك ، فالصراع في الرواية كان خفياً وهادئاً وسامياً ، وتجاوز الوقوف عند الأمور الدنيوية الصغيرة ، وأن يكون لمجرد تحقيق نصر زائف على القوى الأخرى ، بل عمد إلى الحوار الهادئ معها بهدف إصلاحها ؛ ولذلك لم يصطدم معها . وهذا مما يميز الواقعية الإسلامية عن الواقعيات الأخرى التي يغلب على الصراع فيها أن يكون صراعاً دنيوياً ، يجعل المصلحة الشخصية الدنيوية ، والنظرة الإقليمية الضيقة هي الطاغية [1] ، وبذلك تبدو الشخصية في هذه الواقعيات أنها تعيش في صراعات دائمة مختلفة داخلية وخارجية ، وذلك بسبب طغيان النظرة المادية ، والصراعات الطبقية والإقليمية التي يعيشها ذلك الإنسان البعيد عن الله تعالى .

٢ – العقدة :

العقدة أو الذروة أو الأزمة هي " القمة التي تبلغها أحداث القصة في تعقدها . وعندما يبلغها القارئ ينفعل أشدّ الانفعال ، وتتلاحق أنفاسه ، وتضطرب عواطفه ، وتختلط أحاسيسه ؛ فتزداد بهذا متعته ، ويتضاعف شوقه إلى معرفة الحل ، وإلى اكتشاف الحالة التي ستؤول إليها الأمور بعد ذلك " [2] .

والعقدة في الرواية قد تكون واضحة ، بحيث يستطيع القارئ أن يحدد النقطة

---

(١) انظر على سبيل المثال الصراع في رواية (الفلاح) (لعبد الرحمن الشرقاوي) . انظر : اتجاهات الرواية المصرية (منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٦٧م) : ١٨٩ –١٩١ .

(٢) فن القصة : ٤٣ .

التي وصلت فيها الأحداث إلى ذروتها ، وأحياناً تكون مبهمة غير واضحة ، فلا يجد القارئ نقطة معينة يمكن أن يقول عندها : إن الأحداث الروائية وصلت إلى ذروتها من التعقد والتأزم . والاتجاه الحديث في الرواية يتحاشى إبراز العقدة بصورة مفتعلة صارخة ، حتى تكون أكثر تعبيراً عن الحياة [1] .

وجاءت العقدة في رواية (دفء الليالي الشاتية) بهذا السياق ، أعني أن العقدة فيها غير واضحة ، إذ لا توجد نقطة واضحة في الرواية نقول عنها : إن الأحداث الروائية وصلت فيها إلى أعلى درجة من التأزم والتعقيد . وهذا الأمر أضفى على الرواية مزيداً من الواقعية والصدق الفني ، إذ تجاوزت هذه الرواية الحبكة التقليدية التي تسير فيها الأحداث سيراً نمطياً متصاعداً بحثاً عن النقطة التي تصل فيها الأحداث إلى ذروتها من التأزم والتعقيد ، ثم يأتي الحل الذي ينهي جميع المشكلات . إنّ واقع الحياة يخالف ذلك ؛ فالإنسان فيها يمرّ بأزمات متعددة. والإنسان المؤمن بقضاء الله وقدره يستطيع أن يتعايش مع كل ما يعتريه في هذه الحياة ، ويخرج من كل مشكلة تمرّ به أكثر إيماناً وقوّة ، وهذا ما نلمسه بوضوح في شخصية (عبد المحسن) بطل الرواية ، حيث كان يتعامل مع كل ما يتعرض له من أزمات بإيمان وصبر وعزيمة ؛ لذا كان يزداد قوة بعد كل موقف صعب يتعرض له ، ويتمثل ذلك بوضوح من خلال المواقف الأربعة التي مرّ بها ، وهي موقفه مع ابن خالته (وليد) الذي انتهى بعودته إلى طريق الصواب [2] . وموقفه مع (السيدة بودي) صاحبة المنزل الذي عاش فيه سنوات الغربة ، إذ تمكن من إعطائها صورة حسنة عن الإسلام ، ونجح في جعل ابنتها (جين)

---

(١) انظر : دراسات في القصة العربية الحديثة : ٢٩ .

(٢) انظر : دفء الليالي الشاتية : ١٠١ – ١١٠ .

تزورها بعد أن كانت مبتعدة عنها لفترة طويلة [1] . وموقفه من (د. بهاء حنّا) الذي هاجم الإسلام في إحدى محاضراته ، وحاول أن يجعل (عبد المحسن) كبش فداء ؛ لأنه يعلم أنه ليس متخصصاً في العلوم الإسلامية ، وبعد أن عجز (عبدالمحسن) عن إيجاد من يقوم بإلقاء محاضرة يرد فيها على ما جاء في محاضرة (د . بهاء) من مغالطات ، قام بإلقاء المحاضرة بنفسه ، وعندها شعر (د . بهاء) أنه نجح في وضعه في مأزق ، وأنه سيحقق عليه نصراً ساحقاً [2] . ولكن الله تعالى ألهم (عبد المحسن) – من خلال حادثة السرقة التي تعرض لها مع زوجه (أمل) في السوق – أن يوازن في محاضرته بين الأمن في بلادنا وبلاد الغرب [3]. ورابع هذه المواقف تمكنه من إقناع الرجل الثري (أبي فهد) ببناء مسجد في المدينة التي كان يسكن فيها (دنفر) [4] .

ويرجع نجاح (عبد المحسن) في تجاوز تلك الأزمات – بعد توفيق الله تعالى – إلى قوة إيمانه ، وإخلاصه ، ورغبته في خدمة عقيدته ، وثقته بالله تعالى ، وإقدامه على فعل الخير ، وجديته في مواجهة الصعاب . لقد كشفت الأزمات التي عاشها (عبد المحسن) عن قدرته في التعامل مع كل ما تعرض له من مشكلات في بلاد الغرب ، وظهر أكثر قوة وتماسكاً بفضل تمسكه بدينه وعقيدته ، وبذلك ظهر تميز الشخصية الإسلامية وقدرتها على المواجهة ، إن هي تمسكت بدينها ، فالأزمات تحتاج إلى الإيمان والشجاعة والإخلاص والصبر والحلم ، وغيرها من الصفات

---

(١) انظر : المرجع السابق : ١١١ – ١٢٣ ، ١٢٥ –١٤١ .

(٢) انظر : المرجع السابق : ٤٧ –٥١ .

(٣) انظر : المرجع السابق : ٥٦ - ٦١ .

(٤) انظر : المرجع السابق : ١٢٤ – ١٣٢ .

الحميدة التي يحث عليها ديننا الحنيف .

٣ – الحل :

بعد أن تكون الأحداث قد وصلت إلى ذروتها ، يأتي الحل ، وهو النهاية التي تؤول إليها الأحداث ، وفيه يُقدّم الروائي النتيجة التي آلت إليها الصراعات المختلفة . والنهاية الطبيعية للأحداث هي التي تكون متفقة مع المقدمات والمعطيات الممهدة لها ، وتجعل القارئ " يعتقد أنْ لا نهاية للحوادث والأفعال المروية غيرها ، فإن قادته إلى نهاية لا تتفق وحركات الشخصيات المرسومة وأفعالها ، فهي نهاية مفتعلة ، وإن كانت قوية أخّاذة " [١].

وتكمن أهمية الحل في كونه غالباً ما يكون آخر ما يطالعه القارئ ، فيترك الانطباع الأخير لديه ، ويكشف عن المغزى الذي يرغب الروائي في إيصاله إلى المتلقين ، أو الأفكار التي يحملها .

وحل العقدة الروائية وفق التصور الإسلامي يتمثل في حتمية انتصار الحق وأهله على الباطل وأتباعه ؛ لأن انتصار الحق وأهله سنة من سنن الله تعالى ، قال عزّ من قائل : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٢] .

وانتصار الحق وتحقيق الشخصيات الإسلامية النجاح في النهاية سمة من سمات الرواية الإسلامية التي تغرس الأمل في النفوس ، وتنظر إلى الحياة نظرة ملؤها التفاؤل والأمل . وهذا ما جسدته بوضوح رواية (دفء الليالي الشاتية) ،

---

(١) القصة من خلال تجاربي الذاتية : عبد الحميد جودة السّحار : ٣٥ ، دار مصر – القاهرة ، (د ت) .

(٢) سورة القصص : الآية : ٨٣ .

حيث كان النجاح الذي حققه (عبد المحسن) في دراسته ، وحصوله على درجة الدكتوراه بعد مرور سبع سنوات قضاها في الغربة – هو النهاية السعيدة للأحداث. لقد نجح (عبد المحسن) في دراسته ، وفي إعطاء صورة حسنة للإنسان المسلم الإيجابي من خلال ما قدمه للمحيطين به ، وبذلك يكون قد نجح في إضاءة شمعة ، وهذا ما أراد الكاتب أن يؤكده من خلال هذه الرواية ، وقد ذكر ذلك صراحة في إهداء الرواية ، حيث قال : " إلى الذين يفضلون أن يضيئوا شمعة بدلاً من سبِّ الظلام "[1].

إن الواقعية الإسلامية من خلال النموذج الذي قدّمته رواية (دفء الليالي الشاتية) واقعية إيجابية تدعو إلى العمل والتفاؤل ، وتفتح باب الأمل على مصراعيه ، وتؤكد حتمية انتصار الحق وأهله ، وأن الشجرة الطيبة لابد أن تثمر خيراً ، ولو بعد حين . أما في بعض الواقعيات الأخرى فنجد أن نهاية بعض الروايات مأساوية حزينة تعبر عن وجهة نظر أصحابها إلى الحياة ، وفيها تهزم القيم الفاضلة ، وتنتصر الرذيلة ، ويسقط البطل ؛ نتيجة لسقوط المجتمع الذي تعبر عنه تلك الواقعيات ، ومن تلك الروايات رواية (العيب)[2] (ليوسف إدريس) (ت ١٩٩١م) ، وفي هذه الرواية ظلت بطلتها الموظفة (سناء) – على الرغم من فقرها وحاجتها – صامدة أمام المغريات المتعددة من قبل مديرها في العمل ومعظم الموظفين ، ولكنها في نهاية الرواية تسقط معهم في وحل الفساد ، وأصبحت كلمة (ولا يهمك) – التي أطلقتها – معبرة عن حالها ورأيها في الحياة[3] ، وعندما

---

(١) دفء الليالي الشاتية : صفحة الإهداء .

(٢) العيب : د . يوسف إدريس ، مكتبة مصر – القاهرة ، (د ت) . صدرت الطبعة الأولى عام (١٩٦٢ م) .

(٣) انظر : المرجع السابق : ١٤٥ .

عرض عليها (محمد الجندي) أن يراها في مكان عام قالت له : " واللا إيه رأيك ؟ ما بلاش (الكازينوهات)لحسن حد يشوفنا "[1] . وهذا السقوط لبطلة الرواية شوه صورة الإنسان ، وعبّر عن النظرة السوداوية للحياة التي تتعارض مع التصورات الإسلامية[2].

وبعد ، فإن الحبكة الفنية في رواية (دفء الليالي الشاتية) جاءت متماسكة ، حيث تمكن الكاتب من تقديم المضامين الإسلامية في بناء روائي متماسك ومتكامل ، إذ يلحظ القارئ ارتباط نمو الشخصيات مع تصاعد الأحداث التي كانت منطقية ومتماسكة ونابعة من طبيعة الشخصيات ومتفقة معها ، وبعيدة عن المصادفة . وأدى ذلك التفاعل إلى إحداث الأثر المطلوب ، وفي الوقت ذاته ظهرت الرواية بصورة متماسكة ومترابطة .

المبحث الخامس : الأسلوب الروائي :

الأسلوب الروائي هو الأداة التي تعبر عن الأحداث والأفكار ، وتصور حركة الشخصيات ، وعن طريقه ينقل الروائي الأحداث الواقعية والخيالية إلى صورة لغوية يطالعها القراء عبر صفحات الرواية .

ولغة الرواية يغلب عليها الميل إلى الوضوح والبساطة والنأي عن التعقيد

---

(١) المرجع السابق : ١٤٧ .

(٢) واللافت للنظر أن هذه الرواية عندما حوّلت إلى عمل سينمائي جاءت النهاية فيه مخالفة لما هو موجود في الرواية ، بحيث تم تغييرها تغييراً جذرياً ، إذ قامت (سناء) بالتمثيل على من حولها وأوهمتهم بأنها قد رضخت لضغوطهم ، وقبلت الرشوة ، ولكنها فعلت ذلك لإيقاعهم لدى الجهات الأمنية المختصة ، ونجحت في ذلك . ويبدو لي أن التغيير الذي طرأ على نهاية الرواية عندما حوّلت إلى عمل سينمائي جاء من قبل الرقابة على مثل هذا النوع من الأعمال ؛ لأنهم يشترطون أن يأخذ المجرم عقابه ، وأن ينتصر الحق في النهاية .

والإغراب ، وهي تختلف عن لغة الشعر ؛ " لأنها تكتب نثراً بأسلوب مطاوع أقرب إلى لغة الناس الجارية ، ولا يلتزم فيها ما يلتزم في الشعر من خصائص لغوية وموسيقية ... " [١] . وإن كان هناك من الروايات " ما يقترب من منهج الشعر في إحكام بناء العبارة ، وإبداع جرسها ، حتى لكأنك تسمع أنغام كتّاب الرسائل القدماء وأرباب النثر الأوائل . ولكن تيار التطور قد جعل من هؤلاء قلة قليلة ؛ فأغلب الروائيين يستخدمون النثر مثلما يستخدمون لغة الكتابة العادية ، بل لغة الصحافة نفسها ، دون محاولة الصعود في مراقي الشعر " [٢] .

وكما يُعْنَى الأدب الإسلامي بالمضامين الفكرية الصحيحة فإنه يولي اللغة التي تعبر عن تلك المضامين ما تستحقه من العناية والاهتمام . ومن البدهي أن تكون اللغة العربية الفصيحة وسيلته في إيصال تلك المضامين إلى القراء .

وجاءت رواية (دفء الليالي الشاتية) في هذا السياق ، حيث عمد الكاتب في سبيل إيصال المضامين الإسلامية إلى استخدام لغة عربية سليمة وبسيطة ، جمعت بين جمال التعبير ونظافته وسلامة اللغة ، وتصوير الأحداث ، ورسم الشخصيات ، والقدرة على إيصال الأفكار والآراء إلى القراء بوضوح .

وأحداث الرواية سردت بصيغة ضمير الغائب ، وتعدّ هذه الطريقة أبسط صيغ السرد [٣] ، وأقدمها [٤] . وهذه الطريقة تتيح للكاتب أن يكون " أكثر حرية في

---

(١) النقد الأدبي الحديث : د. محمد زغلول سلام : ١١٦ ، منشأة المعارف. الإسكندرية ، ١٩٨١م.

(٢) الأدب وفنونه : د. محمد عناني : ١٥٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ، ط ٢ (١٩٩١ م) .

(٣) انظر : بحوث في الرواية الجديدة : ميشال بوتور : ترجمة : فريد أنطونيوس : ٦٣ ، عويدات – بيروت ، ط١ (١٩٧١م) .

(٤) انظر : في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) : د. عبد الملك مرتاض : ٩٣ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، مطابع الرسالة – الكويت ، (شعبان ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م) .

تحليل الشخصيات التي يتحدث عنها ، فيحاول النفاذ إلى أعماقها . ويتمكن من تحليل أفعالها تحليلاً دقيقاً ، ويعيش معها ، ويعرض كلّ ما يهمه من تصرفاتها ، وما يجري بينها من صراع بحرية تامة ، إذ لا يخشى معها أن يتوهم القارئ أنها ترجمة لفترة من حياته ، أو أنّ أحداثها جرت له فكان بطلها "[1] .

واعتماد الكاتب هذه الطريقة في سرد الأحداث مكنه من تغطية فترة زمنية طويلة تقارب سبع سنوات[2] . ومكنه – أيضاً - من قيادة الأحداث والشخصيات إلى النهاية المرسومة ، وجعله يبدو أكثر حيادية ومنطقية ، إذ قدّم للقارئ المعلومات التي تتفق مع طبيعة الشخصيات وتوجهاتها ، والمبررات المقنعة لتطور الأحداث .

أما الحوار - وهو ركن رئيس من أركان الأسلوب الروائي – فجاء في رواية (دفء الليالي الشاتية) بلغة عربية فصيحة بسيطة راعت الفروق الفردية بين المتحاورين ، وكشفت عن أحوالهم المختلفة ، ومن نماذج ذلك الحوار الذي جرى بين (عبد المحسن) و (د. بهاء حنّا) بعد انتهائه من إلقاء محاضرته عن الجريمة والعقاب لدى المسلمين ، حيث قال (د . بهاء) (لعبد المحسن) مبتسماً :

" - أظن المحاضرة لم تعجبك ؟!.

- بكل تأكيد.

- عليك ألا تنتظر مني أن أتحدث بما تحب فقط !

- وأنت عليك ألا تنتظر مني أن أوافق على مغالطاتك وتشويهك للحقائق .

وأردف (عبد المحسن) : سوف أطلب من إدارة الكلية إتاحة الفرصة لتوضيح

---

(١) القصة والرواية : ٤٥ .

(٢) انظر : دفء الليالي الشاتية : ١٥٠ .

الحقائق التي طمستها في محاضرتك .

- هذا يرجع إليك وإليهم " [1] .

الحوار السابق يعدّ أنموذجاً للحوار الجاد الذي تبدو فيه الصرامة والتحدي ، وكشف عن شخصية (عبد المحسن) القوية المجابهة التي تدافع عن الإسلام ، ولا تقف مكتوفة الأيدي أمام الهجمات التي يتعرض لها الإسلام [2] .

وفي موقف آخر صوّر الحوار الاضطراب النفسي [3] الذي عانى منه (وليد) قبل التزامه ، حيث أجاب بعفوية وتلقائية عن سؤال عضو اللجنة التي تتولى المقابلة الشخصية للمتقدمين :

- " ما البلد الذي تنوي السفر إليه ؟
- أجاب بسرعة (أمريكا) .
- ما التخصص ؟
- قال بعفوية : أمريكا " [4] .

لم يكن في ذهن (وليد) إلا السفر إلى (أمريكا) ؛ لتحقيق نزواته وإشباع رغباته ، لذلك أجاب بعفوية أظهرت الخواء الروحي والفكري الذي يعيشه .

جاء الحوار في الرواية في مجمله بلغة عربية فصيحة بسيطة تتسم بالإيجاز والتركيز ، ومتنوعاً ، ومناسباً للمواقف المختلفة ، وراعى فيه الكاتب الفروق الفردية بين الشخصيات المتحاورة ، وحافظ على جمال التعبير الأدبي

(١) المرجع السابق : ٤٨ .

(٢) انظر : مراجعات في الأدب السعودي : ٩٠ .

(٣) انظر : مراجعات في الأدب السعودي : ٨٩ .

(٤) دفء الليالي الشاتية : ٣٢ – ٣٣ .

وخصوصيته ، كما ظهر في النماذج السابقة [1] . وقد وصف الدكتور (حسين علي محمد) الحوار في الرواية بقوله : " يقوم الحوار فيها بدور بنائي هام لا يمكن إغفاله في النص السردي ، يتمثل في إضاءة جوانب الحدث ، أو تطوير الموضوع الروائي ، أو الكشف عن دواخل الشخصية المتحدثة ... " [2] .

والقضية التي تطرح نفسها في هذا المقام ، والتي تظهر بوضوح تميز الواقعية الإسلامية عن الواقعيات الأخرى ، تتمثل في لغة الحوار . وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه إذا كان هناك إجماع على أن اللغة العربية الفصيحة هي اللغة التي يكتب بها السرد الروائي ، فإن هناك جدلاً حول لغة الحور ، إذ برزت في هذا المجال ثلاثة اتجاهات ، هي : الاتجاه الفصيح ، والاتجاه العامي ، والاتجاه إلى استخدام لغة وسطى [3] .

والدعوة إلى اعتماد العامية لغة للحوار عند كثير من كتاب الواقعية نبعت من رغبتهم وحرصهم على إضفاء مزيد من الواقعية على قصصهم ، بحيث تتحدث الشخصيات باللغة التي تتحدث بها في الحياة ، وهذا الأمر أدى إلى هبوط مستوى اللغة في تلك الأعمال ، وصعوبة فهم تلك اللهجات العامية في البيئات الأخرى [4] .

أما الواقعية الإسلامية فإنها تحافظ على لغة القرآن الكريم ، ولا تستجيب

---

(١) للمزيد من نماذج الحوار : انظر : دفء الليالي الشاتية : ١٥ –٢٤ ، ٢٧ – ٣١ ، ٤٢ –٤٦ ، وغيرها من المواضع .

(٢) مراجعات في الأدب السعودي : ٨٩ .

(٣) انظر : الفن القصصي بين جيلي طه حسين ونجيب محفوظ : د . يوسف نوفل : ٢٥١ –٢٥٤ ، دار القلم – دبي ، ط ١ (١٤١٢هـ / ١٩٩٢) .

(٤) انظر : في الأدب وفنونه : علي بوملحم : ١٣١ ، المطبعة العصرية – لبنان ، د ط (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م).

لتلك الدعوات " التي تغري الكتّاب باستعمال العامية أو المصطلحات العامية أو الغربية بحجة واقعية الأسلوب ، أو التعبير الفني الصادق عن الشخصيات العادية . إن القصة تصور هذه الشخصيات بطريقة موحية ، وتعبر فنياً عنها ، ولا يرسمون رسماً منقولاً أو تصويراً (آلياً / فوتوغرافياً) ، ولذلك لا مجال لاستعمال العامية، ولا حاجة لنقل المصطلحات الغربية .

والداعون إلى ذلك يستخدمون هذا المزلق كمنطلق أو خطوة للوصول إلى أهدافهم وإبعاد لغة القرآن عن الناس وأفهامهم " [1] .

وفي هذا المجال سأعرض بعض نماذج الحوار في بعض الروايات التي تمثل الواقعيات الأخرى ؛ لإظهار تميز الواقعية الإسلامية عن غيرها . ومن ذلك الحوار في رواية (الفلاح) (لعبد الرحمن الشرقاوي) (ت ١٩٨٧م) ، حيث استعمل الكاتب لغة عامية في حوار الشخصيات الروائية ، ومن نماذجه الحوار الذي جرى بين (رزق) و(عبد المقصود) و(الشيخ طلبة)، حيث قال (رزق):

"- الحتة دي ياما شافت ، الله يرحم والدك يا عبد المقصود بيه .

فضحك توفيق حسنين والشيخ طلبة ، وصفق (الشيخ طلبة) طرباً من الذكريات :

- أي نعم ، شافت بهوات وباشوات وقضاة ومديرون ، و.. و.. القصد بقى، دنيا ، وآهي شافت جعصة عبد المقصود ، ولاجعصة ميت فدان !

ونهض عبد المقصود مسرعاً في ضيق : طب أستأذن أنا بقى ... " [2] .

---

(١) دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة (مع عرض ودراسة لعدد من قصص الدكتور نجيب الكيلاني) : محمد حسن بريغش : ٣٠ ، مؤسسة الرسالة _ بيروت ، ط ١ (١٤١٤ هـ / ١٩٩٤) .

(٢) الفلاح : عبد الرحمن الشرقاوي : ٥٤ – ٥٥ .

ومن هذه الروايات - أيضاً – رواية (عرس الزين) (للطيب صالح) ، حيث اعتمد اللهجة العامية المحلية في الحوار ، ومن نماذجه الجمل الحوارية التالية :

" - الزين ما شي يعقدو له باكر ...

- علي ، أنت يعني قايل أنا ما بخلص قروشي منك ، ولا فكرك شنو ؟

- حاج عبد الصمد ، كدى قول بسم الله واقعد ، نجيب لك فنجان جبنة .

- يازول جبنتك طايره عليك ، قوم افتح الخزنة دي ادني قروشي ، ولا كمان ان بقيت ما بي ضمة كمان فهمني " [1] .

جاء الحوار في الروايتين السابقين باللهجات العامية المحلية الساذجة أفقدت التعبير الأدبي جماله ، ومثل هذه اللهجات لا ترقى أن تكون لغة للأدب ، ومن ناحية أخرى يستعصي فهم كثير من الجمل الحوارية العامية فيها على القراء في البيئات الأخرى ، وعند ذلك سيتوقفون عن متابعة الأحداث ؛ بحثاً عن معاني المفردات ، وقد يدفعهم ذلك إلى ترك قراءة الرواية .

إن تحقيق الواقعية – من وجهة نظرهم - يتمثل في جعل الشخصيات تتحدث باللغة نفسها التي تتحدث بها في الحياة الواقعية ؛ بحجة إضفاء مزيد من الواقعية على الرواية . وقد دحض هذه الحجة (نجيب محفوظ) عندما قال : " المهم في الشخصية عناصرها الخُلقية والمزاجية والثقافية والسلوكية ، وآخر ما نستعين به في ذلك هو كيفية نطقها الألفاظ " [2] .

أما الواقعية الإسلامية فلا يحدّها نطاق إقليمي ضيق ، فيكتب سردها وحوارها بلغة عربية فصيحة بسيطة يفهمها من يجيد اللغة العربية من العرب وغيرهم من

---

(١) عرس الزين : الطيب صالح : ٦ ، دار العودة – بيروت ، (د ط) ، (١٩٨٨م) .

(٢) الفن القصصي بين جيلي طه حسين ونجيب محفوظ : ١٠٨ .

الأمم في كل مكان ، وتحافظ على الذوق الفني والحس الأدبي ، وتتعالى عن السقوط في فخ استعمال العاميات الساذجة التي تفقد الأدب جماله ؛ بحجة الواقعية . وفي هذا السياق جاء حوار رواية (دفء الليالي الشاتية) ، حيث كُتب بلغة عربية فصيحة مركزة راعت الفروق الفردية بين الشخصيات ، وكشفت عن أحوالهم ، وأظهرت توجهاتهم الفكرية وآراءهم في الحياة ، وعبّرت عن المواقف المختلفة .

ومن القضايا التي تبرز تميز الواقعية الإسلامية عن الواقعيات الأخرى المعجم الإسلامي ، إذ يتمتع الأدب الإسلامي بخصوصية تميزه عن غيره تتمثل في الخصوصية اللغوية ، والواقعية الإسلامية تفرض على الأديب عندما يُقدّم شخصيات إسلامية أن يجعلها تستدل بالآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وتردد الأدعية والأذكار ؛ لأن المسلمين يفعلون ذلك في حياتهم الواقعية . والشخصيات الإسلامية في رواية (دفء الليالي الشاتية) فعلت ذلك في أحاديثها ، مما أضفى على الرواية مزيداً من الواقعية والصدق الفني ، وأصبغ عليها صبغة إسلامية واضحة [1]

وفي نهاية حديثي عن الأسلوب الروائي لابد لي من الإشارة إلى قضية مهمة تتمثل في تدخل الكاتب في السرد في بعض المواقع ، وتعليقه على الأحداث ، وكان من المفترض أن يترك الأحداث تعبر عن ذلك ، ومن النماذج التي توضح تدخل الكاتب في السرد قول الكاتب عن حال (عبد المحسن) أثناء المحاضرة التي ألقاها (د . بهاء حنّا) : " كان (عبد المحسن) يدعو بينه وبين نفسه أن تمضي هذه

---

(١) انظر : دفء الليالي الشاتية : ٨ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٧٥ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، وغيرها من المواضع .

المحاضرة على خير . إن أسوأ ما في الدراسة في الخارج أن تجد ما يصدم العقيدة ويناقضها ، ويغدو وضع عدد من الطلاب ، إما الضعف والتهاوي ؛ نتيجة عدم الوعي بهذه الظروف ، والتسلح بزاد كاف من العقيدة ، أو التحدي الذي يجعل بعضهم يتمسك بدينه أكثر فأكثر ، ويعرف فضل الله عليه حين جعله من المسلمين "[1] .

إنّ التدخل الصريح من قبل الكاتب في السرد ، ومخاطبة القراء بصورة مباشرة ، يعدّ نقطة ضعف في الرواية ؛ لأنه يؤدي إلى قطع تدفق الأحداث ، ويجعل القارئ ينسى أنه بصدد قراءة رواية أدبية . مع أن السياق الروائي يكشف عن أفكار الكاتب بوضوح .

* * *

(١) المرجع السابق : ٤٧ . وانظر : نماذج أخرى : ١٢ ، ٤٣ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، وغيرها من المواضع .

الخاتمة :

اتخذت رواية (دفء الليالي الشاتية) من قضية الاغتراب موضوعاً لها ، وقامت على مبدأ المقابلة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية المادية ، وقدمت بعض قضايا الاختلاف بين الحضارتين ، وأبرزت القلق النفسي الذي يعاني منه الإنسان الغربي بسبب بعده عن الدين ، وفي المقابل أظهرت قدرة الشخصية الإسلامية المتمسكة بالدين على إقامة مجتمع إسلامي في الغرب ، ونجاحها في مواجهة المواقف المختلفة بكل ثبات ؛ بسبب إيمانها بالله تعالى ؛ وبذلك كانت الشخصيات الإسلامية إيجابية ومتفائلة . وأظهرت الرواية اختلاف الواقعية الإسلامية عن الواقعيات الأخرى ، حيث اتسمت الواقعية الإسلامية بالاتساع والشمول والتفاؤل ، فالأرض كلها ميدانها ، فلا يحدها نطاق إقليمي ضيق ، وتهتم بمشكلات الإنسان بغض النظر عن مكانته الاجتماعية ، حتى غير المسلمين يدخلون ضمن نطاق اهتماماتها .

وكما تعنى الواقعية الإسلامية بالمضامين فإنها تولي الجوانب الفنية ما تستحقه من عناية ، ويظهر ذلك من خلال تماسك الحبكة الفنية ، وارتباط الأحداث ، والتأكيد على مبدأ السببية فيها . ويضاف إلى ذلك اللغة العربية الفصيحة المعبرة التي استعملها الكاتب في إيصال المضامين الإسلامية إلى المتلقين .

إن هذه الرواية محاولة جادة على طريق الأدب الإسلامي ، وتأصيل لمفهوم الواقعية الإسلامية ، على الرغم من وجود بعض الملحوظات ، مثل : تدخل الكاتب في السرد في مواضع عدة من الرواية ، وضعف الصراع ، وسطحية بعض الجمل الحوارية ، وافتقادها عنصر المفاجأة والتشويق ، وغيرها من الملحوظات .

وبعد ، فإن الأدب الإسلامي بحاجة إلى مزيد من النماذج الأدبية من شعر

وقصة ومسرحية ورواية ، وإلى دراسات نقدية تطبيقية تكشف عنها ، وتعطيها بعض ما تستحقه من عناية واهتمام ؛ وهنا أشير إلى أنه لا يكفي تقديم الدراسات النظرية للأدب الإسلامي ، بل لابد من تقديم نماذج تمثل الأدب الإسلامي ، وجاءت رواية (دفء الليالي الشاتية) في هذا السياق.

وأخيراً ، أرجو أن تسهم هذه الدراسة في تأصيل مفهوم الواقعية الإسلامية في الرواية ، وأن تفتح الباب على مصراعيه لدراسات تطبيقية أخرى .

* * *

فهرس المراجع :

١- **آفاق الأدب الإسلامي** : د . نجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط ١ (١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م) .

٢- **اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٦٧ م (دراسة نقدية)** : د . شفيع السيد ، مكتبة الشباب – مصر ، (١٩٨٨ م) .

٣- **الأدب وفنونه** : د. عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ط ٨ (بدون تاريخ) .

٤- **الأدب وفنونه** : د . محمد عناني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ، ط ٢ ، (١٩٩١ م) .

٥- **الأدب ومذاهبه** : د . محمد مندور ، دار نهضة مصر – القاهرة ، بدون تاريخ .

٦- **أركان الرواية** : إ . م . فورستر ، ترجمة موسى عاصي ، جروس برس – طرابلس – لبنان ، (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) .

٧- **بحوث في الرواية الجديدة** : ميشال بوتور : ترجمة : فريد أنطونيوس ، عويدات – بيروت ، ط١ (١٩٧١م) .

٨- **تذوق الأدب** : طرقه ووسائله : د . محمود ذهني ، مكتبة الأنجلو المصرية – مصر ، بدون تاريخ .

٩- **دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة (مع عرض ودراسة لعدد من قصص الدكتور نجيب الكيلاني)** : محمد حسن بريغش ، مؤسسة الرسالة _ بيروت ، ط ١ (١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) .

١٠- **دراسات في القصة العربية الحديثة** : د .محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف – الإسكندرية ، (١٩٨٧م) .

١١- **دفء الليالي الشاتية** : د . عبد الله العريني ، دار إشبيليا - الرياض ، ط ١ (١٤٢٠هـ) .

١٢- **صحيح الإمام البخاري** : تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز ، المكتبة التجارية ، (١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) .

١٣- **عرس الزين (رواية)** : الطيب صالح ، دار العودة – بيروت ، (١٩٨٨م) .

١٤- **العيب (رواية)** : د . يوسف إدريس ، مكتبة مصر – القاهرة ، (بدون تاريخ) .

١٥- **الفلاح (رواية)** : عبد الرحمن الشرقاوي ، عالم الكتب – القاهرة ، ١٩٦٨ م .

١٦- **فن الشعر** : أرسطو طاليس ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، (بدون تاريخ) .

١٧- **فن القصة** : د . محمد يوسف نجم ، دار الثقافة – بيروت ، بدون تاريخ .

١٨- **الفن القصصي بين جيلي طه حسين ونجيب محفوظ** : د . يوسف نوفل ، دار القلم – دبي ، ط١ (١٤١٢هـ / ١٩٩٢) .

١٩- **في الأدب وفنونه** : علي بوملحم ، المطبعة العصرية - لبنان ، (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م).

٢٠- **في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)** : د . عبد الملك مرتاض ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، مطابع الرسالة – الكويت ، (شعبان ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م) .

٢١- في **النقد الأدبي الحديث (مدارسه ومناهجه وقضاياه)** : دراسة نقدية تطبيقية : د . محمد صالح الشنطي ، دار الأندلس – حائل ، ط ١ (١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م) .

٢٢- **القاموس المحيط** ، للفيروزآبادي .

٢٣- **القصة من خلال تجاربي الذاتية** : عبد الحميد جودة السّحار ، دار مصر – القاهرة ، (بدون تاريخ) .

٢٤- **القصة والرواية** : د . عزيزة مريدن ، دار الفكر – دمشق ، (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)

٢٥- **مذاهب الأدب الغربي " رؤية إسلامية "** : د . عبد الباسط بدر ، شركة الشعاع للنشر – الكويت ، (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م) .

٢٦- **المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين** : د . شكري محمد عياد ، المجلس

الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، عالم المعرفة (١٧٧) ، (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) .

٢٧- **مراجعات في الأدب السعودي** : د . حسين علي محمد : ٨٨ ، دار الوفاء – الإسكندرية ، ط ١ (٢٠٠١ م) .

٢٨- **معجم المصطلحات الأدبية** : إبراهيم فتحي ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين – تونس ، ط ١ (١٩٨٦م) .

٢٩- **الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي** : د . شلتاغ عبّود ، دار المعرفة – دمشق ، ط ١ (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) .

٣٠- **مهما غلا الثمن (رواية)** : د . عبد الله بن صالح العريني ، دار إشبيليا – الرياض ، ط ١ (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م) .

٣١- **منهج الفن الإسلامي** : محمد قطب ، دار الشروق – بيروت – القاهرة ، ط ٦ (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م) .

٣٢- **موسوعة المصطلح النقدي** : ترجمة د . عبد الواحد لؤلؤة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ، ط ١ (١٩٨٣ م) .

٣٣- **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد** : د . عبد الرحمن رأفت الباشا ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض ، (١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م) .

٣٤- **النقد الأدبي الحديث** : د . محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ـ الإسكندرية ، (١٩٨١م).

٣٥- **الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد** : د .أحمد بسام ساعي ، دار المنارة – جدة ، ط ١ (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م) .

* * *

JOURNAL OF

AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD ISLAMIC UNIVERSITY

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY
DEANERY OF ACADEMIC RESEARCH

VOLUME 7. APR. 2008

السعر : ١٠ ريالات
PRICE : 10 SR